خالد بن محمد العماري

الوعي بالأفكار

ماذا بعد تويتر وفيس بوك؟

قراءة في تاريخ ومستقبل تقنيات التواصل الاجتماعي

العبيكان
Obeikan

ماذا بعد
تويتر وفيس بوك؟!

خالد بن محمد العماري



ⓒ خالد محمد العماري الزهراني، ١٤٣٣هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الزهراني، خالد محمد العماري

ماذا بعد تويتر وفيس بوك/ خالد محمد العماري الزهراني/ مكة المكرمة، ١٤٣٣هـ

١٥٢ ص؛ ١٤ × ٢١ سم

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٠١-٠٠٧٣-٦

١ - الإنترنت والمجتمع ٢ - الإنترنت والثقافة أ. العنوان

ديوي ٣٠١،٢٤٣ رقم الإيداع: ١٤٣٣/٤٧٤٩

الطبعة الأولى

١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م

الناشر: العبيكان Obeikan للنشر

الرياض - المحمدية - طريق الأمير تركي بن عبدالعزيز الأول

هاتف ٤٨٠٨٦٥٤ فاكس ٤٨٠٨٠٩٥ ص. ب ٦٧٦٢٢ الرمز ١١٥١٧

موقعنا على الإنترنت

www.obeikanpublishing.com

متجر العبيكان على أبل

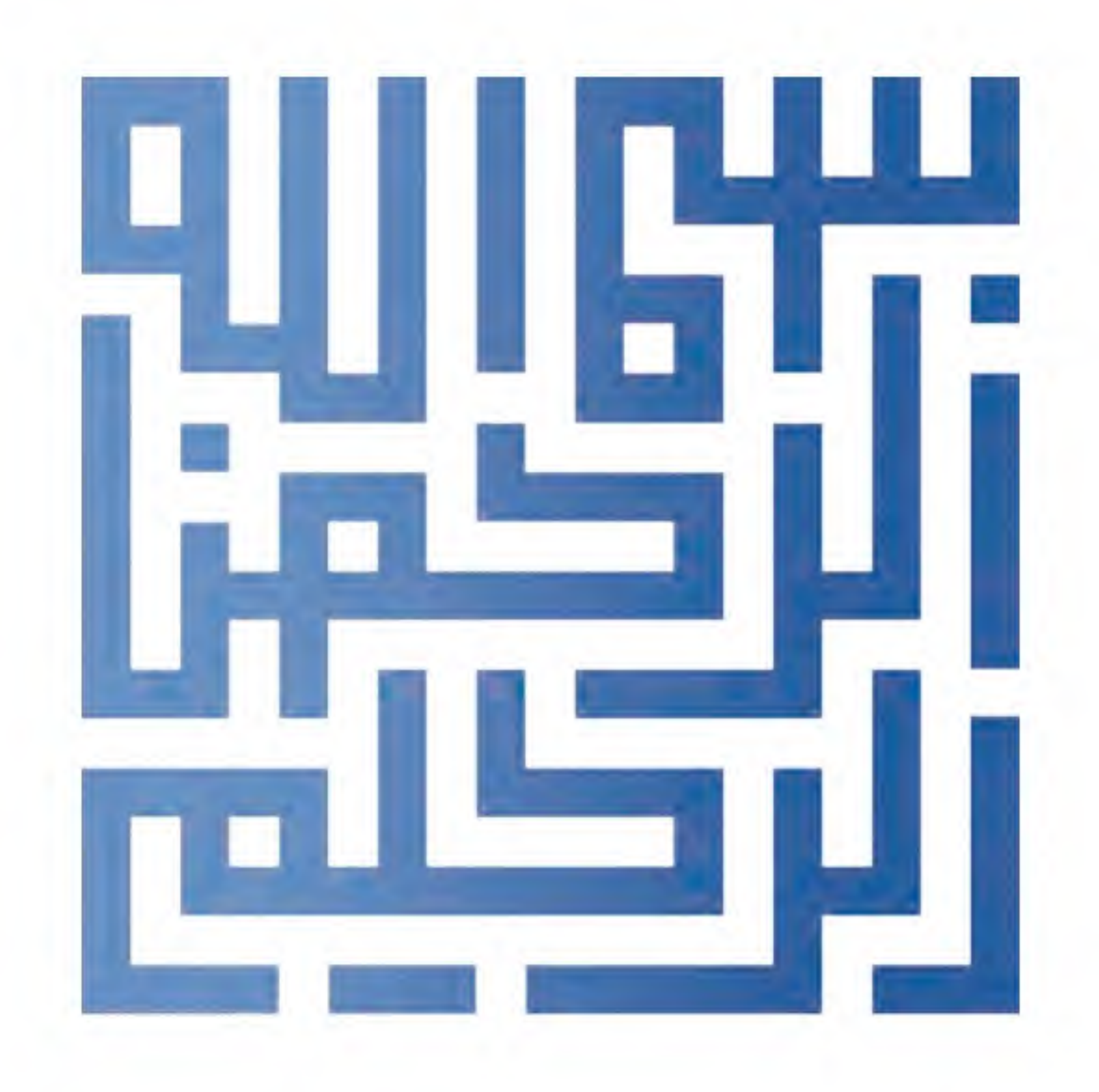
http://itunes.apple.com/sa/app/obeikan-store

التوزيع: مكتبة العبيكان Obeikan

الرياض - العليا - تقاطع طريق الملك فهد مع العروبة

هاتف ٤١٦٠٠١٨ /٤٦٥٤٤٢٤ فاكس ٤٦٥٠١٢٩

ص. ب ٦٢٨٠٧ الرمز ١١٥٩٥


بسم الله الرحمن الرحيم



لكل مستخدمي الإنترنت، والشبكات الاجتماعية على وجه الخصوص، أطرح تساؤلاتٍ وتأملاتٍ عدَّة، حول مستقبل تقنيات التواصل الاجتماعي، باستراتيجية إثارة التفكير وشراكة الأفكار .. لا بنمطية إملاء الأفكار وأحادية التفكير ! أملاً في رفع درجة وعينا بالأفكار التي تشكل حياتنا اليوم، وإيقاع عصرنا ...

الأيقونات:



ميز الله ابن آدم بالعقل، وسخر له القلم، وعلمه وألهمه الكتابة والتدوين، ومن شكر هذه النعم نقل آثارها الخيرة والمبدعة للأجيال القادمة، فلا نفرط في تدوين تجاربنا، وتثبيت أفكارنا، فهذه أول لبنة في بناء الوعي، وتخليد الحضارات.

من نحن؟

بسم الله، والحمد لله، والصَّلاة والسَّلام على سيّدنا رسول الله، صلَّى الله عليه وسلَّم، وعلى آله وصحبه ومَن والاه، أما بعد:

فـ (أنا) عبدٌ من عباد الله، معترفٌ بفضل الله ورحمته، وكرمه..
أكرمني اللهُ، وأنعمَ عليَّ بموهبة التأمُّل وسبر التَّجارب، ومنَّ عليَّ بأن أكون ممَّن يُدَوِّن تأملاته وتجاربه، ويحاول استثمارها في الوعيّ الذَّاتيّ، وتحديث الوعيّ المحيط، لا لحظ (الأنا) من ذاته، فالحمد لله أن بصّرنا بأنفسنا، وعرّفنا بضعفنا وعجزنا وفقرنا إليه، وحاجتنا بالفطرة والطبيعة للناس، وحاجة الناس إلينا.

والخلقُ عباد الله، وأحبُّهم إليه أعبدهم له، وأنفعهم لعباده، ولكنِّي أعتقد أصالتنا (نحن) عربًا ومسلمين، وقدرتنا على تدوين تجاربنا وتأملاتنا وأفكارنا، ومحاولة استثمارها في التَّربية، ونقل المعرفة لأبنائنا ومن حولنا، وللمحبِّين المحيطين بنا، والبعيدين عنا، ولكل بني آدم.

نعم، لا بدَّ أن ندرك أصالتنا في التفكير، وقدرتنا على النتاج الحضاريّ، وصناعة الحاضر والمستقبل، ولا بدَّ أن نعي موقعنا على الخريطة العالمية زمانًا ومكانًا وقضيةً، وألاَّ نكتفي بتحديد ذاتنا، ورسم ملامح الآخر. ونغرق في توصيف ذلك، وجعله قضيةً عُليَا، ونُجهد أنفسنا في الاستدلال على ذلك من كلام السابقين وتجاربهم ومواقفهم، وكلام الآخر وتجاربه ومواقفه. ونعْلَقَ من حيث لا نشعر في شَرَكِ الصِّراع الضيِّق، وفي محدودية التَّفكير. بينما نُفوِّتُ على أنفسنا وأجيالنا ميادينَ أوجبَ وأرحبَ وأوسعَ، وأكثرَ تأثيرًا على حياتنا وحياة الأجيال. ثم تَمُرُّ السِّنون، وتتعاقب الأجيال، وتدور الدَّوائر، ونجد أنفسنا - في كلِّ مرَّةٍ - في الدَّائرة عينها، والزَّاوية نفسها، ومستوى التفكير ذاته!

والمسألة من وجهة نظري إنَّما هي قُصور في الوعيّ، وإشكاليةٌ في التَّفكير. فقد يكون لدينا إدراكٌ لقضيةٍ ما، لكنه إدراكٌ جزئيٌّ ليس بكلِّيٍّ، أو متأخرٌ وليس بمُتقدِّم، أو بسيطٍ وليس بمركب، أو خاصٌّ وليس بعامّ. بل قد يكون كاملاً، لكنه غير متكامل، وفَاعِلاً لكنه غير متفاعل، وصالحًا لكنه غير متصالح!

ثم تجد الجمَّ الغفيرَ والسَّوادَ الأعظمَ منَّا متقاربين في مستوى الوعيِّ، وفي طريقة التَّفكير في هذه القضية، وربما في قضايا كثيرة. رضينا بقِلَّة تفكُّرٍ عنَّا، وتختارُ وتُرَجِّحُ بالنِّيابة، وتَعْرِضُ ولا تُعَارِض، وتُرسِل ولا تستقبل! والغالبيةُ العظمى مستمعون

لا مسمعين، ومُتَلقِّفون لا مثقَّفين، وعالة لا يبحثون عن ضالَّة! إلاَّ من رحم ربُّك.

بينما لو وسَّعنا الدَّائرة، أو خرجنا عنها، أو غيَّرنا طريقةَ تفكيرنا، أو أدواتها؛ لاكتشفنا – ربَّما – أنَّنا في وادٍ والعالمُ في وادٍ، وأنَّنا نصارعُ أشباحًا لا أرواحًا. نصارع جيلَ الآباء و الأجداد، وأجيالاً قبل ذلك بكثير، بينما قد يكون الآخر أقدَرَ على جعل كثير من القضايا المعرفية والفكرية المتنازِع فيها تاريخًا محسومًا، أو تَقْبَلُ التَّحديثَ، لكن متى ما أراد! بل وجَعَلَ ذلك كُلَّهُ وما فيه من مضامين وقضايا ونتاج ماديّ، وما حفَّه من توافق واختلاف، جَعَلَهُ كلَّهُ على الرغم من حيويته وفاعليته وتأثيره، بمنزلة منصَّةٍ صلبة ينطلق منها لغيرها. بل ربما بلغ به الحال – بعد أن كنَّا في منصَّة واحدة يُدار فيها الصِّراع بالتَّدافع – إلى أن أبدعَ لنا منصَّاتٍ ومنصَّاتٍ وبيئاتٍ وأدواتٍ لا قِبَلَ لنا بها. واستضافنا غرباءَ بكلِّ حفاوةٍ وترحيبٍ ودَهَاءٍ طويلِ الأجلِ، ونفس أعمقَ من ذي قبل، فإذا بنا (نحن) وأجيالنا، وربما أجيالُ أجيالنا، ضيوفٌ عليه، لا نعرف من الدَّار إلاَّ صاحبها الذي كان جدُّه خصمًا لأجدادنا، وأمَّا الدّار فغير التي نعرفها، والموائدُ ملئت بما لذَّ وطاب، والخدم والحشم والأجواء التي تأخذ بالألباب من الباب إلى الباب، وأصبح خيارنا الوحيد أن نستمتع، ونتلذذ بكل ذلك، ثم نحضر جلسةَ الشَّاي – وقد أُتْخِمنا – مع صاحب الدّار الذي امتلك القرار في داره وضيفه، ثم نبدأ بالتفكير وإدارة الحوار عن الصِّراع الأبدي بين جدِّه وأجدادنا!

ولعلي أضرب مثالاً على ذلك في مسألة الوعي أو مسائل التفكير والعقل، فما زال كثيرٌ من مثقفينا متصارعين فيما بينهم، وفيما بينهم وبين الآخر على تحرير قضايا ماهية العقل، ومسائله، ودلائله النظرية، وتطبيقاته في نطاق (فإن قالوا .. قلنا) ، بينما أنتج المخالفُ فَرضيات أخرى، ونَظَريات. بل أدوات وبيئات وإجراءات وتقنيات، تجاوزت الخلاف بيننا بكلِّ بساطة ودهاء، لتدخل في بيت كلٍّ منَّا، ولتُفرَض في مدارسنا ومعاهدنا، لا على أنها خيار أو بديل، بل على أنها النمو الطَّبعي للنتاج البشري المشترك، الذي تشكَّل سريعًا فيما بعد، ليصبح إيقاعًا للعصر الذي نعيش فيه، وربما حاكمًا لنا وعلينا، شئنا أم أبينا!

واسمحوا لي بمثال آخر، فما زِلْنا نُحْدِث حَراكًا وصَخَبًا في تحرير مسائل الحرب والسَّلام ودار الكفر والإسلام، ومع كلِّ هذا الحراك المبارك، لم نُحْدِث قولاً ثالثًا في المسألة، ولن نُحدث!

بينما انتقل الخصمُ لا لمسائل أخرى، ولا لحروب أخرى فحسب، بل لدُورٍ أخرى من دور الإسلام واستعمرها ظاهرًا أم باطنًا بآلة متطورة يستخدمها هو، ويبيعها لنا في الوقت ذاته!

ومن هذا المنطلق ذاته، أحاول في ورقاتي هذه معالجةَ وعْيِنا بالأفكار التي تشكِّل حياتنا، ومنها ما يُسمّى بـ (شبكات التواصل الاجتماعي)، واخترتُ هذا العنوانَ لتحفيز الشَّباب على التَّفكير فيما

يألفُونَ ويُحبّون، لعلَّهم ينتجون، ويبدعون ما عجزَ عنه كثيرٌ منَّا، ولو نجحنا (نحن) مثقفين ومربِّين ومُنَظِّرين على مستوى جيل اليوم بنشر الوعي بالأفكار، وتغيير طريقة نظرنا وتفكيرنا، والتدريبِ على المهارات والمعارف اللَّازمة؛ لاحْتَفَلْنا أو احْتَفَل أبناؤنا بالجيل القادم صُنَّاعَ فكرٍ ونتاجِ حضاريٍّ منافس ومؤثِّر، وما ذلك على الله بعزيز.

وقبل البدءِ، أعتذر مُقدمًا للقُرَّاء الكرام عن سردي لتجاربي الخاصّة -فيما له علاقة بموضوع هذه الورقات- فلا بضاعةَ لديّ غيرها، وما فتح الله عليَّ به من تأمُّل، وما أكرمني به من مشاركةٍ في الرَّأي من والدي وإخوتي وزوجتي وابنتي، وبعض أصدقائي في نقد وتوجيه هذه التأملات.

فللَّهِ الحمدُ أوَّلاً وآخرًا، وظاهرًا وباطنًا..

ولكلٍّ من شاركني الحبُّ والدعاءُ ..
ولك أيها القارئ الكريم، التحيةُ أنْ تصفحتَ هذه الورقات..
وأنْ صبرتَ - مُقدَّمًا - على ما فيها من (أنَا) ومشاغبات.

خالد العماري

أرض الهدى، أم القرى
غُرَّة جمادى الأولى ١٤٣٣هـ



لنحُلِّلَ الحقائقَ التي نمتلكُ إلى قوانين، يمكن استثمارها في ميادينَ عدَّة.. ولنشارك في حقل الفَرضيات القائم على التأمّل والمشاهدة والتجربة والبرهان؛ حتَّى نصلَ لقوانين وحقائقَ أخرى.

تسجيل الدخول

تساؤلاتي وتأمُّلاتي هذه، هي من وِجهة نظر مستخدمٍ يُصنِّف نفسَه أنه من الطبقة الوُسْطى من فئة المستخدمين العرب للشَّبكات الاجتماعية والإنترنت عمومًا؛ لذا سأعبر عن نظرتي الذَّاتية التي قد تنطبق على غالبية المستخدمين من نفس الطبقة والفئة، وقد تصدق، وتشمل كلَّ الطبقات ربما، وسأخلُص لنظريتي الخاصَّة في نهاية المطاف. وبين نظرتي الذَّاتية ونظريتي الخاصَّة سأصحبك معي صديقًا ألمعيًّا ناقدًا في جولة ماتعةٍ وغريبةٍ، قد تظن للوَهلة الأولى أن لا علاقةَ لها بالموضوع، ولكنِّي على يقينٍ أنها ستثمر وعيًا مشتركًا ومتقاربًا بفكرة الموضوع.

ويمكن القول بدايةً: إن بحث هذا الموضوع ودراسته ستختلف قطعًا باختلاف المنظور والاعتبار، وبالتأمّل فأوجه النظر التي يمكن إعمالُها في بحث هذا الموضوع - بشكل أوسع - أربعة:

- نظر المستخدم.
- نظر مقدم الخدمة.
- نظر الخدمة ذاتها.
- نظر المراقبين والنُّقاد.

ولأني لستُ مَعنيًّا ببحثٍ أكاديمي يقوم على الإحصاءات والمعلومات الدقيقة نسبيًّا، ولستُ بصدد إجراء بحث شامل لسوق الخدمة، وتقديم خطة تسويقية لشركة ما، فسوف يكون الطرح من خلال نظر المستخدم فقط، أو شريحةٍ من المستخدمين ممثلةً في (أحدهم)، ولن أمثِّل دورَ الآخرِ (مقدم الخدمة)، ولا الخدمة ذاتها، ولا دور المراقب أيضًا، وسأطرح تساؤلاتٍ مشروعةً، وتأمُّلاتٍ أكثرَ شرعيةٍ.



وحتَّى تقيسَ نفسَك عليَّ - أيها القارئ الكريم - فإنني قد عاصرتُ مخاضَ الإنترنت في السعودية، وشهدتُ ولادتَه، ونموَه شيئًا فشيئًا، حتى شبَّ وترعرع، بل بدايات استخدام الحاسب الآلي من قِبَل عامَّة الناس في السعودية. وإن قراءة التسلسل التاريخي الكُلِّي لأيِّ قضيةٍ، من أهم أدوات الوعي بها، والتنبؤ بمستقبلها، سواء كان هذا التاريخ مشرقًا أم لا، أم كان خليطًا من الظلمة والنور، والقوة والضعف، والقرب والبعد، و (لا يعرف الإسلامَ من لم يعرف الجاهلية).

ولذا؛ فإني أدعوك بدايةً لقراءة أبحاث لطيفة عن تاريخ الإنترنت الدولي، وتاريخه في العالم العربي، وفي السعودية على وجه الخصوص.

- نحو عام ١٤١٧-١٤١٨هـ ، حين كنا يومئذٍ في نهاية المرحلة الجامعية، بدأ صدى دخول الإنترنت للسعودية، وتسامع الناس بذلك، وتجادلوا جدالاً عريضًا - كالعادة - حول هذا الجديد القادم، وانقسموا بشكل عام إلى أحد موقفين، وطرفين معتادين: من يقول بالخير المحض، ومن يقول بالشرِّ المحض، وقلَّةٌ قليلةٌ من الناس في ذلك الوقت - لا تسمع لها إلاَّ همسًا - اعتقدتَ أنه: مزيجٌ وخليط ولونٌ بين لونين، ووسطٌ بين طرفين، وكَسْرٌ بين عددين صحيحين، أو: أنه أداةٌ ووسيلةٌ وَبيئةٌ تسعُ الحقَّ والباطل، والخيرَ والشَّرَّ، والنَّافعَ والضَّارَّ، فلا يناط الحكم بالأدوات المباحة، وإنما بما احتوته وامتلأت به، واستُخدمت من أجله.

- بدأتُ استخدامَ الإنترنت في وقتٍ مبكر نسبيًّا، وبعد سنتين تقريبًا من هذه البداية أصبح الإنترنت جزءًا من حياتي، وحياة كثير من المستخدمين، وكنتُ مستخدمًا جيدًا للهوتميل وخدماته، مقابل الياهو وخدماته، ثم بعد سنواتٍ كنتُ أتنقل، وأتخيّر من المواقع والخدمات ما ينسجم معي، لا ما يَفْرِضُ عليَّ آصاره وأغلاله، وفي نهاية المطاف أصبحت عميلاً - كما يسمونه - لقوقل وخدماته، ثم عميلاً كسولاً ومتأخرًا للشبكات الاجتماعية، وللتقنيات والتطبيقات والأجهزة الذَّكية، أتصفح الفيس بوك، واليوتيوب، وتويتر، أحاول أن أعْدِلَ بينها، لكن هيهات، هيهات لقلب المُعَدِد أن يَعْدِلِ!

- أستخدم الإنترنت فيما مضى قرابة ساعة إلى ثلاث ساعات في اليوم الواحد، أمَّا بعد أن اقتنيت الأجهزة الذكية، فقد أبقتني على الإنترنت ما دمتُ مستيقظًا، فلا تسأل عن وقت التصفح حينئذ! بل ما سلم نومنا، ولا أحلامنا من آثار التصفح وتبعاته! وإني لأتوقع مستقبلاً أن تكون هناك منصّات للأحلام المحضة الخالصة، أمّا أحلام اليقظة فإن (السكند لايف) بها زعيم.

لستُ متخصصًا في التقنية، ولا في أيٍّ من فروعها، ولستُ أكاديميًّا ولا إعلاميًّا، ولكن أعتقد أني متأمِّلٌ جيّد، ومهتمٌ بالتفكير والتخطيط لبرامج الإنسان والمجتمع، وعاشقٌ للأطفال وللطُّفولة وعوالمها، وأجد أنَّ التقنية قد أحاطتنا من كل اتجاه.

ولذا؛ فأنا دائمُ التَّفكير فيها، وفي حال الناشئة والشَّباب معها، بل في حالنا جميعًا مع هذه الثورة التي أصبحت إيقاعًا للعصر الذي نعيش فيه.



الأطفال في حاجة إلى رعاية ذكيةٍ ذكاءَ الأطفال أنفسهم، وعفويةٍ عفويةَ الطفولة ذاتها، بلا تكلف ولا تنطع ولا آصار ولا أغلال، ولنحرُس تشكّل الوعي لديهم عن الله وعن الكون والحياة والإنسان، بما يعزز فطرتهم التي فطرهم الله عليها.

أصعبُ كلمةِ سرٍّ في العالم!

اشتريتُ لابنتي - وكان عمرها وقتئذ ٩ سنوات - جهازًا جديدًا (لاب توب) خاصًّا بها، واتفقتُ معها أن أكون أنا ووالدتها فقط شريكين في الخصوصية. وبالفعل تمَّ ذلك، فهي تسمح لنا بدُخول حسابها مشكورةً على الدَّوام، ولكن في الوقت ذاته تخوض حربًا باردة في أمن المعلومات مع أخويها اللّذين يَصْغُرانها! فتحاول منعهما من دخول حسابها الخاصّ دائمًا، وهما (هكرز) لكن بالنظر فقط!

واستمرت المحاولاتُ ممّا قادها إلى الاطلاع والقراءة في التعمية و(التشفير!) - بحسب عُمُرها طبعًا - وقرأتْ كثيرًا عن كلمات السِّرِّ ومعاييرها، ومن ضمن هذه المعايير: (أن تكون كلمة السِّرِّ طويلةً، أو غيرَ قصيرة، أو لا بدَّ أن تتجاوز عددَ كذا ...).

تَخيَّلوا ماذا كانت النتيجة؟!

النتيجة: استخدمت (الشِّفت) وأخذت (الكيبورد) من أقصى اليمين لأقصى اليسار، والعكس في الصَّفِّ الثَّاني + (شفت)، وهكذا في بقية الصُّفوف..



طبعًا .. كان هذا في اللَّيل قبل أن تهجع، وبالفعل نامت تلك اللَّيلة قريرةَ العين، ومطمئنةَ الخاطر.. وفي الصباح كانت المفاجأة!

قامت بتشغيل الجهاز، وعندما أرادت تسجيل الدخول من حسابها، كانت المحاولة الأولى خاطئة، ثم حاولت الثَّانية والثَّالثة، وكلُّها خاطئة.. حتَّى عَجَزت! حاولت.. وحاولنا معها أكثرَ من مرَّة، لكن كانت النتيجة خطأ!

ما الذي حدث؟

مرَّة نسيت الضغطَ على زر (الشفت)، ومرّة أدخلت الأحرفَ بالعربي مع زر (الشفت).. ثم عدَّلت وأدخلتها بالإنجليزية، لكن دون زر (الشفت).. ومرة ضغطت مفتاحين في آنٍ دون أن تُدرك استعجالاً..

تخيلوا هذا كلّه مع الضغط على أزرار الكيبورد ذهابًا وإيابًا..!

ونحن نعلم أنّه كلّما زادت المعطيات، زادت الاحتمالات والنتائج، وهكذا أصبحت متوترةً وعيناها مملوءتان بالدُّموع، ونحن لم نملك أنفسنا من شدَّة الضَّحك، ضحكنا حتى دمعت أعيننا، وهي تحاول، وتحاول .. وأمُّها تساعدها، وتصرخُ في وجهها: (ألم أقلْ لكِ، لا تُغيري كلمةَ السِّرِّ؟!).

وعلى الرّغم من فُجائية هذا الموقف ودهشته، إلاَّ أن منظر الابن الأصغر، وهو يُحِدُّ النظرَ في الكيبورد في كل هذه المحاولات ليظفر بكلمة السِّرِّ أعجبُ وأطرفُ.

(ههههه) هذه القهقهة النَّصية مُسْعفةٌ وضروريةٌ لنا في حكاية مثل هذه المواقف، ولا أعلم كيف دَوّنَ القدماء ضحكاتهم دُوْنَها!

بل، بعد أن انتهى هذا المشهد، وزالت الغُمّة، وانكشفت كلمةُ السِّرِّ الحقيقيةُ، وعرفها الجميعُ، قالت ابنتي بأعلى صوتها: (لا تِضْحَكُوا عليّ.. واللهِ، لأَسَوِي وَاحْدةْ أَصْعَبْ وأَصْعَب).

هذه البراءة يا سادة، هي براءة الطفولة التي لا يُكدّرُ صفوَها، ولا يفسدُها إلاَّ الغفلةُ عنها من الكبار والوالدين والمربين، بحيث نقع في طرفي نقيض، فإمَّا أن نعدّها غباءً وأنهم أغبياءُ، فنحظرها عليهم حظرًا مطلقًا، ونفكر بعقولنا لا بعقولهم، ونختار نيابةً عنهم. وإمَّا أن نعدّ هذه البراءةَ شيئًا عابرًا، ولا يستحق الاهتمامَ، بل يكبر الأطفالُ

ويتعلَّمون! أو: كما يقال: (كُلُّ دَقَّة بتَعْلِيمَه) ! و: (اتْرُكْهُم.. تُعَلِّمْهُم الحياة، ويُؤَدِّبُهم النّاس)، هكذا بإطلاق!

الأطفال في حاجة إلى رعاية خاصَّةٍ ذكيةٍ ذكاءَ الأطفال أنفسهم، وطبيعيةٍ وعفويةٍ عفويةَ الطُّفولة، يعني: بلا تكلفٍ ولا تنطعٍ ولا آصارَ ولا أغلال.

ولا يتأتَّى ذلك إلاَّ بالأبوة والأمومة الحقَّة، التي تعني الاحتضانَ والحضورَ الجسديَ والوُجدانيَ، أو: ما يقوم مقامَها من الرِّعاية والحفظ، من بقية مَن يقوم على شأن الطِّفل عند فَقْد والديه، أو غيابهما.

وفي موضوعنا هذا، فإنّ غريزةَ التَّواصل والتَّعارف قد تُستثمر، وتستغل من قبل المستخدم المجهول أو المعلوم تجاه الأطفال. ولا سيما في مواقع الترفيه والألعاب المقترنة بـ (الشَّات) والمراسلة الفورية، حيث يكون الطفل في حالة – من المتعة والمرح والتشويق، والجهل بالعواقب، وغياب الأمومة والأبوة، والرِّعاية الحقّة – تسمح للغير بمهاجمته بلا خوف، وأخذ ما يريد منه بلا تعب، واستغلاله أبشعَ استغلال، ويكون الطفل كالحَمَلِ الوديع، الذي تُمَرَّر السّكينُ على رَقبته، وهو منهمكٌ في الرّعي!!

ومع توافر الهواتف والأجهزة الذَّكية، زادت تطبيقات التواصل الاجتماعي، سواء للشّبكات الكبرى المشهورة، أو تطبيقات خاصّة

بهذه الأجهزة. وتوفِّر هذه التطبيقات كلَّ أنواع التواصل التي سنتكلمُ عنها: من الكتابة الفورية، ومشاركة الملفات والصور، بل الشات الصوتي والمرئي المباشر وغير المباشر.

وزادت خدمةً إضافيةً لم يكن أحدٌ يتوقَّعها! لا لغرابتها، ولكن لخطرها! ألا وهي خدمة تحديد المواقع، بحيثُ يتمُّ تحديد موقع الطَّرفين أينما كانا، وبدقَّة تفوق ٩٨٪! وهذه الخدمة هي ذاتها التي تحتاج إليها الجيوش في حرب الدول بعضها بعضًا، وفيما يُسمّى بمحاربة الإرهاب، وما تحتاج إليه أجهزة الأمن والاستخبارات في ملاحقة الأفراد.

فلنتنبه لهذا الموضوع، الذي تنبهت له بعض المؤسسات والمنظمات الغربية اللاربحية في حملتها ضدّ المطورين للمواقع والبرمجيات التي لا تراعي هذا، ولم يتنبَّه لها كثيرٌ من الآباء والأمَّهات، ولا الحكومات والمنظمات العربية المَعنية بالتربية والتعليم، ولا الطبقات المثقفة في مجتمعاتنا، ويا للأسف!!

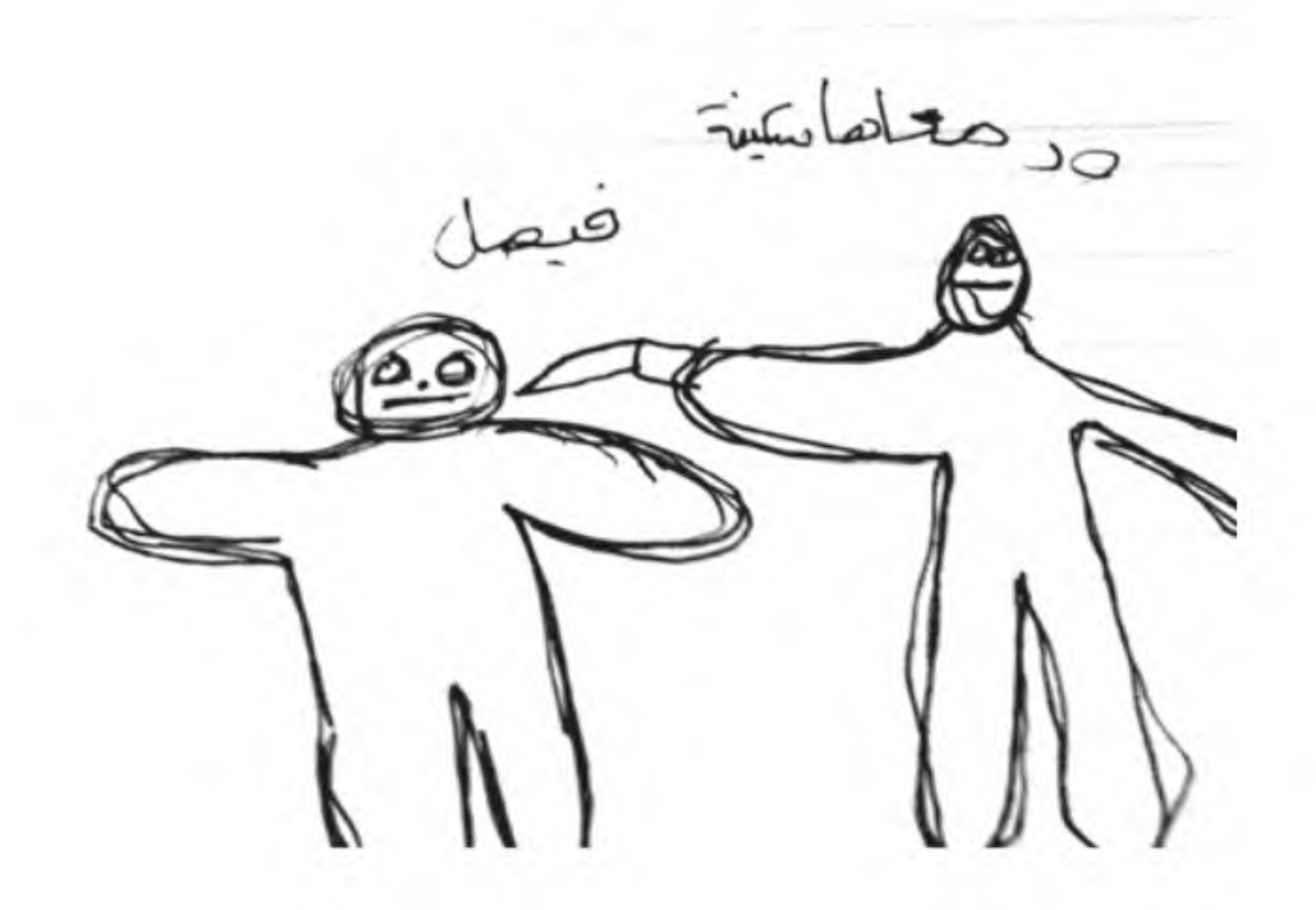
وأزيدكم من الشِّعر بيتًا: إنه مع التنبُّه والحرص والتَّوعية والتَّوجيه، فلن تعدم حياتنا من الزَّلل والخطل، وبعض المفاجآت، التي تحتم علينا مزيدًا من الوعيّ والرّشد في التَّعامل معها.



إن لم يستطع الوالدان إدراكَ إيقاعات العصر والوعي بتقنياته بشكل عام، وبرمجة تربيتهم ورعايتهم لأبنائهم على ذلك، فلا أقلَّ من القراءة والبحث والسؤال قبل أن تعرض لهم حالة، أو تنزل بهم نازلة، وأدنى من ذلك المعالجة الرَّاشدة بعد الحدث.

هكر الأظفار الناعمة

وهذا موقفٌ آخرُ أسوقُه لكم، وقد وقفتُ عليه بنفسي، وظفرتُ ببعض الصُّور التي أعتذر عن رداءتها مُقدَّمًا، قد تعرَّضتْ فيه طفلةٌ عمرُها عشرُ سنوات، لاختراق جهازها من طفلٍ قريبٍ لها، عمره تسع سنوات! لكن بمساعدة ومشاركة بعض المراهقين الذين يتدربون على أيدي مجاهيلَ عبر الشَّات ومواقع التَّواصل الفوري، والذين يدربونهم، ويشجعونهم على ذلك، بعد أن يكونوا هم أنفسهم وأجهزتهم ضحايا لكلِّ من هبَّ ودبَّ، ومن خلال منتديات متخصصة يتلقَّون المعلومات والآليات! ولن أسرد الموقف على شكل قصة، بل سأكتفي بإرفاق هذه الرسومات البريئة والمعبرة عن نهاية هذه الحادثة المؤسفة – والله المستعان –.



رسوماتٌ تعبيريةٌ للطِّفلة المُعتدَى عليها، بعد أن تمَّ اختراقُ جهازها، وتمَّ التَّسلطُ على بريدها وماسنجرها، تتهددُ قريبَها بسِّكينٍ؛ لشدَّة ألم الموقفِ عليها!



وهنا رسمةٌ تدلّ على أنَّها تتمنى معاقبته بالمِثل، حتَّى يتألمَ، ويبكي مثلما بكت! وحتَّى تشبِعَ غريزة الانتقام لديها!



لكنها بعد ساعات عادت، ورسمت هذه الرسمة، ولبراءتها وسلامة فطرتها تتخيل أن هذا المخترق اعتذر لها، وقبلت عذرَه.

الهكر مشكلة كبيرة
وأيضاً هبالة ليش تهكر
الواحد يبغا الناس تحبه
ما تكرهو إذا انت هكر أعرف أن
الناس ما بتحبك بس تكرهك سؤال
للهكر ليش تهكر؟ يعني الناس
لعبة ولا حيوانات هم من بني آدم
وتذكر الله دائماً

ثم سطرت هذه الوثيقة المخطوطة، وربطت بين هذه الأفعال ونظرة الناس وموقفهم ممَّن يمارس هذه التعديات، وفي النهاية تذكِّره بالله.



وبعد أن مرَّت على الأزمة أيام كتبتْ (النهاية) وقررتْ بيعَ الجهاز؛ لِمَا ارتبطَ به من ذكرى سلبية، وبالفعل قامت بذلك.



ضعفُ تقديرنا للعقول وإمكاناتها الجبارة، وتدني نظرتنا لذواتنا وللآخر، وعدم إجابتنا عن تساؤلات الأطفال، هي السبب الأكبر للتَّأخر في ميادينَ كثيرة!

كيف تقشر الموز؟!

في طفولتي كنتُ أحبُّ أكلَ الموز، وكنتُ أتَفَنَّنُ في طريقة تقشيره. بل رأيتُ من يقشره بعكس الطَّريقة التَّقليدية، ومن يحفّز، ويشجع لاختراع طرقٍ جديدة في التَّقشير. ومنهم: من يقطِّعه إرْبًا .. إرْبًا، على شكل دوائرَ، ثم يأكله، وآخرُ لا تنفتح شهيته للموز حتى يفكَّ ثلاثيةَ الموز الدَّاخلية (الهرمية) على ما أعتقد؟! وثالثُ يقشّر الموزَ من الوسط! ورابعٌ لا أدري كيف!!

وأذكر أننا كنَّا نتساءل: لماذا لونُ الموزِ أصفرُ؟ ولماذا تظهر على بعضه نقطٌ سوداء؟ وكيف تتحوَّل هذه تدريجيًّا لتشمل الموزَ كلَّه؟ ولماذا يفسُدُ بسرعة؟ ومن أين يأتي الموز؟ وكيف يُزْرَع؟ وكيف يُجنَى؟ ولماذا الموز المحلي صغيرٌ ومختلف؟ وكيف يتمُّ ترتيبُ الموز بهذه الطريقة؟

أسئلةٌ كثيرةٌ ومتجدّدة، استمرت طيلةَ مرحلة الطُّفولة، وأظنُّها انتهت الآن! أسئلةٌ .. يسأل عن مثلها الأطفال في الموز والأناناس والفراولة، وكلِّ شيءٍ جديدٍ ومثير في حياتهم، وكما يقال: الأطفالُ فلاسفةٌ بالفطرة!



وفي المقابل، كنتُ أرى بعضَ النَّاس يقشِّرون الموزَ – دائمًا – كما يقشِّره معظم الناس! ويأكلونه من جملة ما يأكلون! وربما يأكلون كما تأكل الأنعام! ويتذمرون من أسئلة الأطفال، كما يتذمَّرون من نكد الحياة !!



وفي الصغر أيضًا، كنا نجتمع في سوقٍ مركزية بجدة (سوق جدة الدَّولية) لمشاهدة كبار المتنافسين على لعبة (باك مان) على أجهزة كبيرةٍ، مثل أجهزة الصَّراف الآلي أو أكبر، وهَمُّ كلِّ واحدٍ من المتنافسين: مَن يحقق نتيجة أعلى؟ ومَن يتصدَّر ذلك اليوم؟ وهل كنَّا - والله أعلم - نتخيَّلُ أن هذه اللّعبة ستصبح متوافرةً في المنازل، فضلاً عن أن تكون مجانيةً في يوم من الأيام؟!

وكنا نلعب (الأتاري) في المنازل، ونلعب .. ونلعب، ولا أذكر أن أحدًا تساءل: ماذا بعد هذا الجهاز؟ إلاَّ إن كان هذا التساؤل في نفسه! أَمَّا أن يسألنا الكبارُ عن ذلك، أو أن نَسْلَم من الاستهزاء لو سألناهم عن ذلك، فهذا لم يكن ألبتة، وإنَّما الأسئلة دائمًا محصورةٌ في: من اشترى شريطًا جديدًا؟

وفي المراهقة فرحنا بجهاز (صخر)، وقد كان صَخْرًا، وكنَّا نفخر به على من عنده آلة كاتبة من أقراننا، وكان همُّنا منصرفًا لإتقان الكتابة على لوحة المفاتيح ليس إلاَّ.

وفي الثانوية اشترى والدي لأخي الأكبر جهازَ (كمبيوترٍ) بكامل تجهيزاته وأسلاكه! وتعاملنا مع الشَّاشات السَّوداء والألعاب النُّقَطية، ثم انتقلنا من (الدُّوز) إلى (الويندوز)، وبدأ عصرٌ جديد.

وفي الجامعة سمعنا بالشبكة العنكبوتية العالمية، أو (الإنترنت)، واستخدمها بعضنا قبل بعض، وكان يفخر بعضنا على بعض في دخوله في طليعةَ المستخدمين السعوديين للإنترنت، وكان يُظَنُّ ببعض المستخدمين الظُّنونَ؛ لأنهم تسابقوا إلى شرٍّ أو إلى أمرٍ مُختلَف فيه، وكان يُروَّج لمقولة: كُنْ ذَنَبًا في الخير، ولا تكنْ رأسًا في الشَّرِّ!

وبعد الجامعة بدأ الاستخدام الفعليُّ، وكان أفضل المستخدمين من لديه (هاردسك)، وكميةٌ أكبر من البرامج، وعشرات (السيريل نمبر)، وربما (البروكسيات)!

وشيئًا فشيئًا، كلَّما ظهر منتجٌ اقتنيناه، وكلَّما بدت موجةٌ ركبناها، وكلَّما علا عَلَمٌ رمقناه، نفاضل بين الشَّركات المتنافسة في الأجهزة والبرامج والتطبيقات، وننتقل من وادٍ إلى وادٍ، وتمتلئ منتدياتنا ونوادينا بعباقرة المفاضلة، وأباطرة التَّسويق للآخر، وربما تثور

بعض المعارك والصِّراعات والطَّحن والطَّحين، على تفضيل ضَرعٍ على ضَرع، واختيار مَرعى على آخر، مع أنّ كلَّ ذلك مِلْكٌ للجار الجُنُب، وفي حِماه لا في حِمانا!

ومنذ ذلك الحين، وحتَّى يومنا هذا أجدُ أنَّ هذه هي حال غالبية الناس إلاَّ من رحم ربك، وانحصرت تساؤلات الغالبية في التَّفضيل، والتَّنافس في التَّبديل. وظهر بعضُ الغيورين ممَّن بحث - ولا يزال يبحثُ - عمَّن وراء الأَكَمَة؟! ومَن خلفَ الكواليس؟! وماذا يُرَاد بنا؟ ومنَّا؟ وعلينا؟ وما المضامين التي يجب نقضُها، وما المحتوى الذي يجب الإبلاغُ عنه، وما النَّافعُ وما الضَّار؟!

وانبرى قِلَّة من المتخصصين والهواة - مشكورين - للتَّعريب، وأقصد بالتَّعريب: التَّرجمة الحرفية في حدِّها الأدنى، وصولاً للنُّسخة العربية الكاملة في الحدِّ الأعلى.

ومع اعترافي بأنَّ كلَّ هذه السلوكات والتوجهات الممنهجة والعشوائية، الفردية والمؤسساتية، هي سُلَّمٌ لِلَّحاق بركب المَدَنية المعاصرة، إلاَّ أننا لم ننتبه إلى أمر أهمَّ وأولى وأوجبَ وأخطر.. ألا وهو: ما الأفكار التي تُسيِّر هذا كلَّه؟ وهل نحن مدركون لها؟ وما اتجاهاتها؟ وهل تتطور في اتجاه واحد؟ وما أفكار المستقبل المحتملة؟ والممكنة والمتوقعة؟ وما الأفكار الكبيرة؟ وما الصغيرة؟ وهل من فكرةٍ كبرى تنظم ذلك كلّه؟ وأين نشأت؟ وما ظروف نشأتها؟ وما أبعادها الزَّمانية؟ والمكانية؟

وماذا؟ وكيف؟ ولماذا؟ ومتى؟ وماذا لو؟
أسئلةٌ كثيرةٌ متاحةٌ ومشروعةٌ لكلِّ مستخدمٍ ناطق!

غفلنا عن هذا كلِّه بسبب البون الشَّاسع بين سابق ولاحق! وباعتبار أنَّ هذا قدرنا كما يرى بعض الناس! وبسبب سياسات التربية والتعليم والصناعة والتجارة في البلدان العربية، كما يرى بعضهم الآخر!

وأرى أنَّ هذا كلَّه شيءٌ واحدٌ مجموعٌ في قولنا: (يغفلون)، ولكني أرى – والله أعلم –: أنّ غفلتنا عن أولوية عالم الأفكار في مطلق التنافس، بل في التنافس المطلق، وضعف تقديرنا للعقول، وإمكاناتها الجبارة، وانحطاط نظرتنا لذواتنا وللآخر، وعدم إجابتنا عن تساؤلات الأطفال عن الموز وغيره، هي السبب الحقيقي وراء ذلك كلِّه!

وإني مع ذلك، لا أستبعد أن يكون هناك أفرادٌ من الناس – لا تؤثِّر في آحاد النسبة المئوية –: مَن تساءل أيَّ تساؤلٍ مشروعٍ، مثل تساؤلي هذا:

ماذا بعد تويتر والفيس بوك؟!

ويقيني أنَّها ذاتها مَن كانت تقشِّر الموز بطرقٍ مختلفة!



البحث عن الأشياء ممتع .. والبحث عن الأشخاص أكثر إمتاعًا، والبحث عن الأفكار هو الأمتع على الإطلاق.. وذلك باعتبار أن العوالم ثلاثة على طريقة مالك بن نبي – رحمه الله –.

ابْحَثْ عن (فُضُولي):

كل جيلنا – تقريبًا – بَحَث عن (فضولي!).

والبحث عن الأشياء ممتع، مثل البحث عن (فُضُولي) في (مجلة ماجد) الإماراتية، بوصفه شيئاً. والبحث عن الأشخاص أكثر إمتاعًا، مثل البحث عن (فُضُولي) بصفته شخصاً، والبحث عن الأفكار هو الأمتع على الإطلاق، مثل البحث عن (فُضُولي) بوصفه فكرةً محفِّزةً للمطالعة والقراءة!

مستوى البحث	فُضُولي	مستوى المتعة
بوصفه من عالم الأشياء		ممتع
بوصفه من عالم الأشخاص		أكثر متعةً
بوصفه من عالم الأفكار		هو الأمتع

نعم، البحث عن (فُضُولي) ممتعٌ، لكن نحن معاشر المهتمين والمستخدمين المبصرين والمستبصرين يجب أن يبحث كلٌّ منا عن فُضُوله!!.

نعم، لا تكن فُضُوليًّا فيما لا ينفع، بل قد يضرّ، ولا يَقُدْكَ فُضُولك أو فُضُول الآخرين إلى المحظور، فتكونَ أحمقَ. ولا تكن فَضُوليًّا في شؤون الآخرين وحياة النَّاس الخاصّة، وما لا يعنيك..



لكن كن فَضُوليًّا في عالم المعرفة وأدواتها ووسائلها، وكلٍّ ما يحيطُ بها.. اسألْ وابحثْ، وناقِشْ واعترضْ، وحاوِرْ، وترقَّبْ، وتنبَّأْ، واستشرف.. ولا تكن مُريدًا بل كن فيلسوفًا.. كن ميتافيزيقيًّا مؤمنًا! بمعنى أنّ شريعة الله كما أنها كَفَتنا مؤنةَ البحث والنظر في مسائل الغيب التي لا تُدْرك إلاَّ بالوحيّ، وما اعتضد به الوحي من الفطرة والعقل الصحيح.

في المقابل حثَّتنا على التَّدبر والتَّأمُّل والتَّفكُّر والتَّعقل في الحياة وفي ميادين الأنفس والآفاق، وما أكثرها، وما أعمقها، وما أوسعها، وما أجملها من ميادين، ولتثرِ اهتمامك، و لتثرْ عنايةَ الآخرين، ولا تأكل الموزَ بطريقة واحدة، ولا تأكله من جملة ما تأكل!



ولا تكن مستخدمًا عاديًّا، فهذا في نهاية المطاف مستَخدَمٌ لا مستخدِم!!

ولا ينحصر تفكيرك وإلهامك وألمعيتك وخيالك في اختيار كلمات المرور الصَّعبة، والتسجيل بأكثر من اسم! وامتلاك أكثر من جهاز، واستخدام أكثر من تطبيق.

ولا تنتقل من زهرة إلى زهرة لمجرد الانتقال، بل لجَني الرَّحيق، والبحث عن الأفضل والقيمة المضافة.



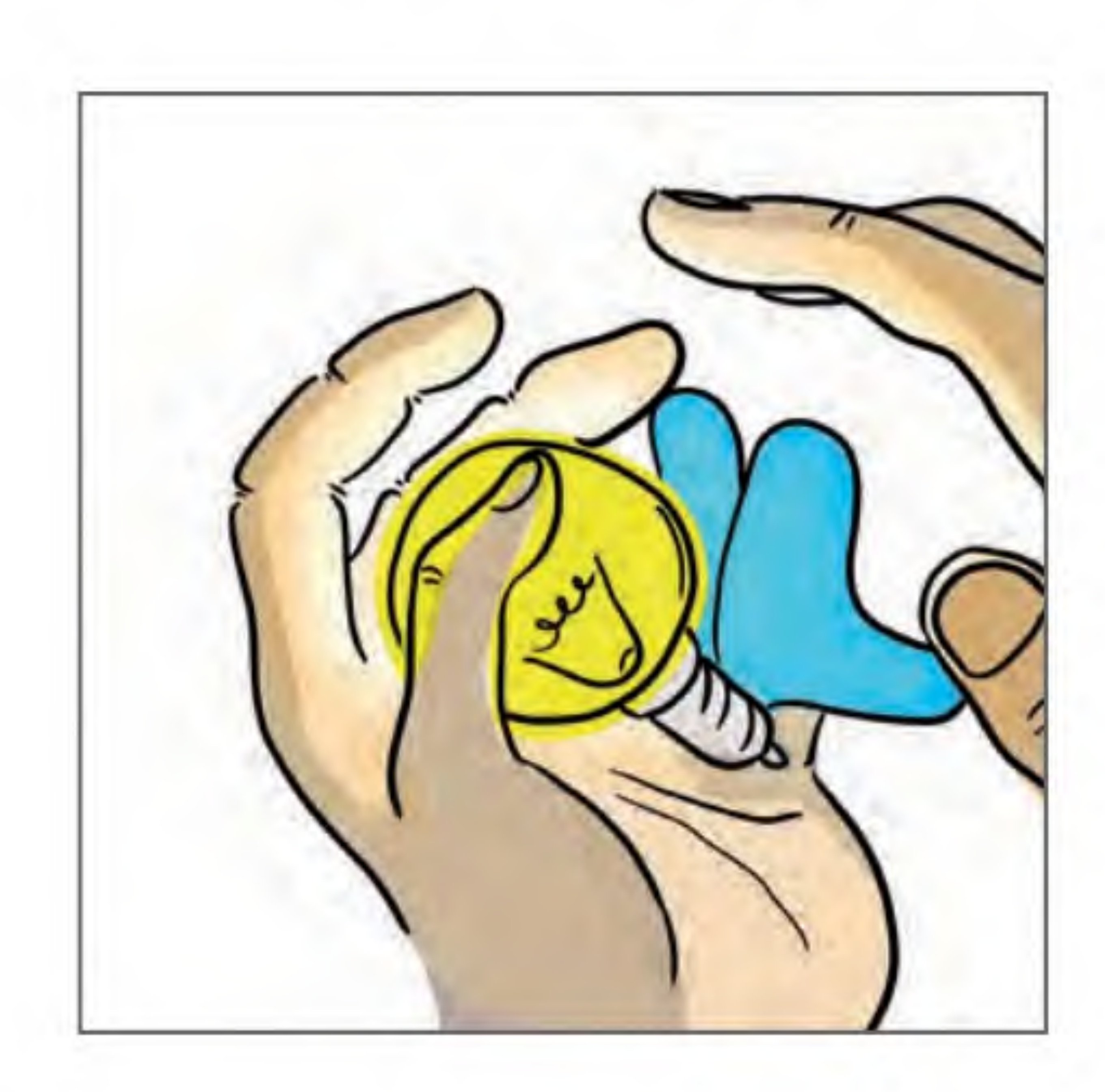
أنا لا أخاطب التقنيين والمختصين في هذا الشأن فقط، بل أخاطب كلَّ مَن وهبه اللهُ عقلاً، أخاطب من ما زال ينمو ويتنفس، وأخاطب من يُقدِّر الأفكارَ ويحترمها، أخاطب الطَّموحين والمتجددين دائمًا. أخاطب الشَّبابَ والفتيات، وأخاطبُ الوالدين والمربين، وأقول لهم: لا تقتلوا عقولَ الصِّغار، ولا تغتالوا أفكارَهم، ولْتَبْحثوا أنتم عن فُضُولهم، إن فاتكم أن تبحثوا عن فُضُولكم!

وأصدقكم القول: إنِّي تساءلتُ مدةً عن مستقبل المجموعات البريدية، قبل ظهور الشبكات الاجتماعية، وعن مستقبل (الشَّات النصي) قبل الإسكايب وغيره، وعن الخدمات المتفرقة هنا وهناك قبل أن يجمعها قوقل العملاق وغيره، وعن أشياء كثيرة؟

ويقينًا تساءل فئامٌ منَّا عن ذلك، وعن مثل ذلك، لكن البيئة العربية - يا للأسف - لا تُزفّ فيها الأفكارُ، ولا المفكرون كما تُزف

الحَسْناوَات!! ويقيني أن من القُرَّاء الكرام مَن مرَّ بتجربة، أو يعيش حالةً شبيهة أو أقلَّ أو أكثر من ذلك .. نلوم البيئةَ أحيانًا والمُربِّين والمُوجِّهين والسَّاسة والقادة. ولكن الملوم الأول – مع ذلك كلِّه – نحنُ، الذين نؤمن بأفكارنا، ونفهمها جيدًا، وتبدو لنا كالشمس في رابعة النهار، فأحيانًا لا نُقَدِّر ذواتنا، وأحيانًا لا نُسوِّق لأفكارنا، وربما لا نستطيع عرضَها بطرق صحيحة. إضافةً إلى وَهْمنا بأنّ عدم التخصص الأكاديمي عائقٌ لمواصلة التفكير في قضية نحن شغوفون بها، وممارسون لها!

أفكارنا يا سادة، في حاجة إلى رعاية طبيعية، فإن لم يكن؛ فرعاية شبه طبيعية. فإن لم نجد فمحمية عامَّة، فإن يئسنا فمحمية خاصَّة، والحمد لله أنّ التُّربةَ والهواء والماء من عند الله تعالى، وما بقي إلاَّ بذلُ السَّبب المتاح، حتى يبدو الصَّلاح.



وإلاَّ فالنتيجة إحباطٌ، و بعثرة عقول وإهدار أفكار، وبالنسبة إلي مع موضوعنا هذا، فقد عشتُ معه بين تساؤلاتٍ وتأمُّلاتٍ، أقرأُ للمختصِّين، فأراهم أغرقوا في التخصص، وللإعلاميين فأجدهم ملؤوا الدُّنيا بهرجةً وصَخَبًا، وللمهتمين فلا أظنهم جاوزوا التسويق للآخر ولمنتجاته الباهرة! ودائمًا أستثني، فأقول: ﴿ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ﴾ [هود: ١١٩]، ولكن أُرْدِفُها مباشرةً، بقوله تعالى: ﴿ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ﴾ [ص: ٢٤].

عشتُ في حالةٍ بين الفلسفة والهسترة، أسميتها فيما بعد بـ (الفسترة). قلتُ: (فَسْتَرة) من فسترَ يفستر فسترةً إذا غَلَّفَ عقله! ومنه: قول العرب المعاصرين والمسيسين، وقول أعداء الأفكار والنجاح: (فسْتِر عقلكْ وتَوَلَّ أمركْ)! وهي مفردةٌ جامعة بين الفلسفة والهسترة، لم تستخدمها العرب قديمًا، ولكن (قدّر الله علينا)! ومع ذلك ما زلتُ أفكِّر، ولله الحمد لسبب بسيط، وهو أنني ما زلتُ على قيد الحياة.





الوعيُّ له مظاهرُ وظواهرُ، تدل على رقي الإنسان والمجتمع والأمَّة، وضعف الوعي في المقابل يعطي مؤشِّرًا سَلبيًّا وتمثيلاً غير لائق أمام الآخر، إنسانًا أو مجتمعًا أو أمَّة.

حمار .. ولو طار!!

عند التحفيز للأفكار، وإثارة التفكير، والبحث عن الفضول المعرفي والفكري الراقي، وطرح التساؤلات، وإثراء العقول وإنارتها .. عند ذلك لا يَظنُّ أيٌّ من القراء أنه مستثنًى من ذلك، والذي أعتقده ألاَّ استثناء في هذا الأمر؛ لأنَّ لذلك كله أفقاً نُطاوِلهُ، وحدًّا أدنى لا نُجاوزهُ!

وحتَّى يتضح الأمر، فإنّ المستخدم للإنترنت والشبكات الاجتماعية لا بدَّ أن يعي أنه بمجرد تعاطيه مع هذه المنتجات والبرامج والمواقع، قد بدأ بتمثيل ذاته وبيئته وأمَّته لدى الآخرين، ذاتًا وبيئةً وأمَّة، وهذا هو مربط الفرس، وبه نعرف الحدَّ الأدنى والحدَّ الأعلى، أيًّا كان الآخر.. وأقربهم من يشترك معك في الأمَّة والبيئة، وأبعدهم من يباينك في البيئة والأمَّة، ولكلٍّ منهم حقٌّ، وعليه حقٌّ، وهناك شريعةٌ مُتَّبعةٌ، وآدابٌ مَرعِيَّة، وقوانين مُحترَمة، لا يَخْرِقها إلاَّ أحمقُ، أو جاهل، أو مُغْرِض!

وإن الجهالة والغفلة عن ذلك مُضرَّةٌ ومُفسِدة، وعدم بيان ذلك للعامّة وللصِّغار وللمستخدمين الجدد – بالطرق المناسبة – نوعٌ

من التَّقصير الذي يزيدُنـا بُعدًا عن التَّفكير الصَّحيح والسُّلوك الرَّاشد، وقد يوقعنا جماعات وفرادى في همجية وغوغائيةٍ عاثرةٍ متعثرة، بل تبعيَّة ليست مبصرة، ولا متبصرة!

ونفاجأ في نهاية الأمر باستنزاف الثروات، واستلاب الهوية، وفقدان السيطرة، والجناية والتعدي، واختلال ميزان الحقِّ والعدل، وموت الضمير والعقول، وضياع الأفكار، وغرابة المفكرين والمستبصرين.

ومن الأمثلة التي ينبغي الوعي بها: المعلومات الشَّخصية، والبيانات الخاصَّة، وطرق الحفاظ عليها، وما الذي يُتدَاول؟ وما الذي لا يُتدَاول؟ وما حدُّ السَّلامة والخطر؟ وما حدود حريتك؟ وما حدود الآخرين؟ وكيف نتعامل مع الآخر؟ ومن نحن؟ ومن الآخر؟ وما المصايد الكبرى؟ ليست الدينية والأخلاقية فحسب، بل الأمنية والمالية والفكرية والنفسية، وربما العقلية!

وهذا كلُّه ممَّا تحرص عليه المؤسسات والشركات الكبرى، والمجتمع المدني في الدُّول الغربيّة، وممَّا نجادل فيه، ونكابر عليه في العالم المتأخر!

ومن الطَّريف أنني كنتُ مرَّةً أناقش بعضَ الأطفال والمراهقين بشأن الاستخدام المفرط وغير الواعي لبعض التَّطبيقات، أو مواقع الألعاب التفاعلية، ومُستَنَدي في النَّقاش الشَّفقة والمعرفة، ومُستَنَدهم المتعة والمعرفة أيضًا، وبعضهم يقول: (والله، كُلِّ اللِّي تِقُولَهْ عَارفينَهْ بسْ

نلعب!). وهيهات أن يقتنعوا .. وشعرتُ من بعضهم بالمكابرة (عنزة.. ولو طارت)، فقابلتها بإطلاق مقولة تحمل عبارةً قوية ومضمونًا مناسبًا لما نحن فيه، فقلتُ: هناك صديقان يستخدمان الإنترنت والألعاب الإلكترونية، لكن واحد بطل، والآخر حمَار!!. قالوا: كيف؟ قلتُ: مَن يلعب، ويتمتع، ويتعرَّف، ويفكِّر، ويستخدم الإنترنت، ويرتقي ويزداد معرفةً ومهارةً، فهذا هو البطلُ. ومن يلعب.. ويلعب.. ويلعب.. وتمرُّ السنون، وهو يلعب.. فهذا حمار! حتَّى لو كانت اللُّعبة لُعبة طيران، باختصار: حمار .. ولو طار.



واحترامًا لإنسانيته، فهو حمار المَدارك، لا حمار الخلقة، بل قد يصل به الحال أن يكون الحمارُ خيرًا منه. وحقيقةً، وأنا أراجع تحريرَ هذا المقال وصلتني رسالةٌ على الواتس أب – ولعلّ بعضكم اطَّلع عليها – عبارة عن حوار بين الحمار وابن آدم! كِدتُ من جمال هذا الحوار أحذف مقالي هذا؛ لأن الحمار في نهاية الحوار خيرٌ من بعض بني آدم باختصار.

وكذلك الحال تمامًا في استخدام الشبكات الاجتماعية، بل أولى! ومن الناس من يستخدم الفيس أو التويتر أو اليوتيوب أو غيرها، ولم يطلع على سياسات الخصوصية، ولا على آليات هذه المواقع وكيفية عملها، بل ربما ليست لديه أيّ فكرة عنها، غير أنه رآها، أو سمع بها، أو دُعي إليها، فأجاب!

ولغياب الوَعي بذلك كلِّه، أو ضَعفه، نسمع عن ممارسات وسلوكات لا تُصَدَّق؛ لِما فيها من الخِفَّة والطيش والسَّفَه! وتعددُها وكثرتُها تنقلُها إلى أن تصيرَ ظاهرةً يُوسَم بها مجتمعٌ ما، وتعطي مؤشِّرًا سَلبيًّا تتعدى ضريبته أصحابَ هذه السلوكات، لتضرَّ البيئةَ والمجتمعَ والأمَّةَ من حيثُ يشعر هؤلاء، ومن حيث لا يشعرون!

وبالجملة، فهناك دوائر كثيرة تحيط بالإنسان والمجتمع والأمَّة، ومنها: دائرة العقائد والأفكار، ودائرة القيم والمبادئ، ودائرة الأخلاق والسلوكات، ودائرة الذَّوق الإنساني والعُرف العام. وإن انتهاك الآخر - أيًّا كان - لأيّ دائرة من هذه الدَّوائر، لا يعني بحال جوازَ الرَّدِّ بالمثل أو بالمقابل؛ لأنك ببساطة حينئذٍ لن تحقق مكسبًا، ولكن يقينًا قد دخلت في خسارة أو في فقدان لرأس المال.





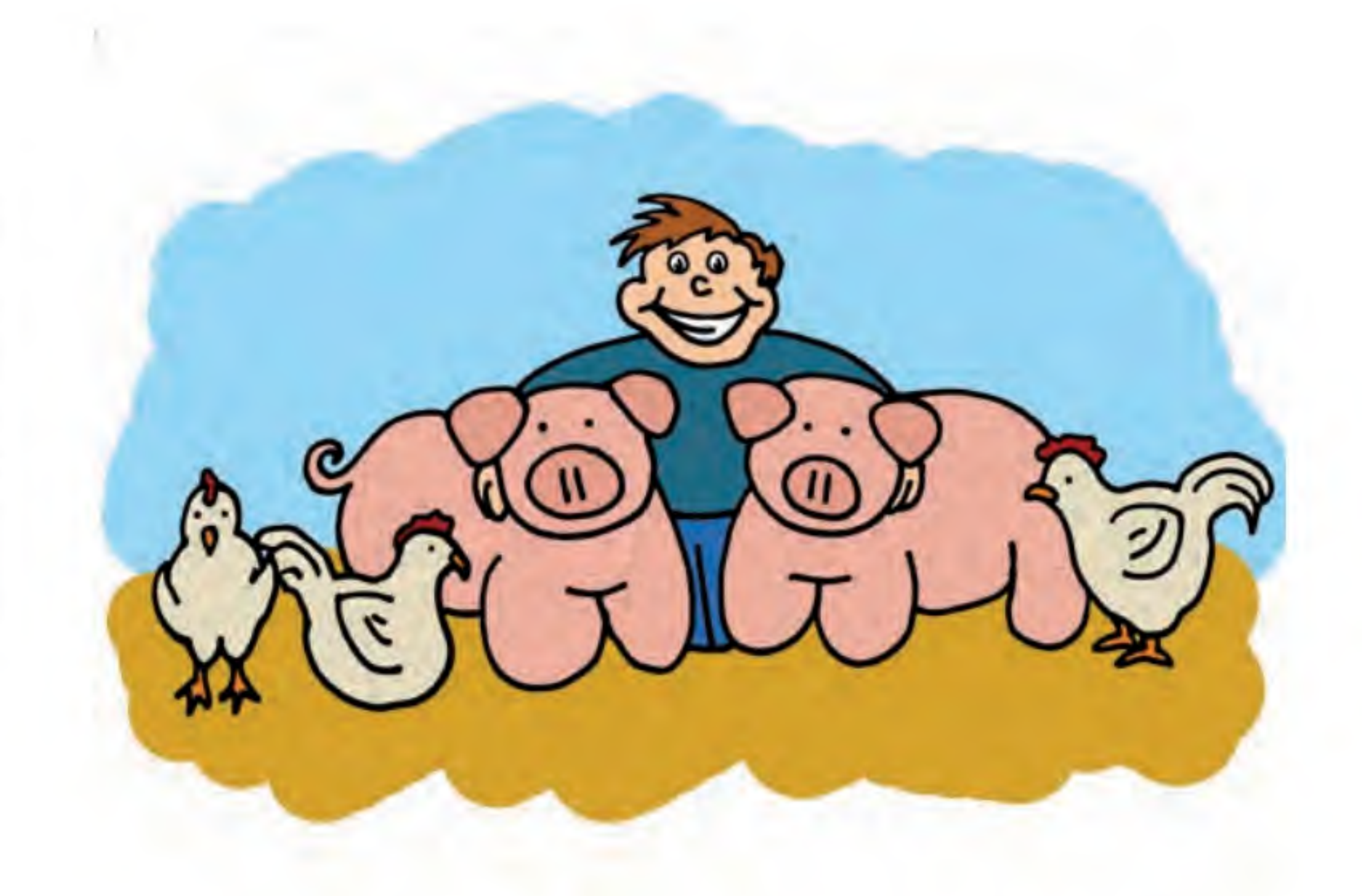
الألعابُ أدواتٌ وتقنياتٌ وقوالبُ لحضارات أخرى، فلا نستغرب من تحيّزها، ومن طغيان هويتها على المستخدم السَّاذج أو الجمهور البسيط، لا في عدده، بل في تفكيره ودوره. والوعي بذلك أساسٌ في المحافظة على الهوية.

كيف تلعب البلاي ستيشن؟

دار حوارٌ بيني وبين والدي ٦٧ سنة (متَّعه الله بالصِّحة والسَّعادة)، وأخي فهد ٢٤ سنة، ومهند ١٨ سنة، وابن أخي محمد ١٣ سنة، عن أصناف الشَّباب والأطفال الذين يلعبون ألعاب (البلاي ستيشن) على الإنترنت أو غيرها من ألعاب الشبكة، وكان نقاشًا ممتعًا وثريًّا ولله الحمد، وخرجنا بتصنيف معقول وواقعي للمستخدمين لهذه الألعاب، جمعته ورتبته وأعدت صياغته، وسأورد جملةَ ما خرجنا به، وأربطه بأنماط التفكير المعروفة:

الأول: المستخدم السَّاذج (السَّطحي):

وهو من يلعب، ويلعب، ويلعب.. إلى ما لا نهاية! فقط يلعب لأجل اللّعب، ويتعب لأجل اللّعب، وكلَّما ظهرت لعبة جديدة كان أحدَ مُحبِّيها، والمعجبين بها، والمُسوِّقين لها. والجديد في حياته أنه لاعبٌ جديدٌ! ولا فرق عنده في (كركترات) الألعاب بين شخصية (ميكي ماوس، وسلاحف النينجا، والنَّعجة دُولي، والخنزير الوردي، والجمل العربي) فكلُّه جميلٌ، وممتعٌ، ومحبوبٌ، ويقطع الوقت!!



ولا فرق عنده بين لعبة قنص الأطباق أو الخنازير أو الآدميين! ولا يعنيه أن يكون المشروب المُقدَّم في اللّعبة ماءً أو خمرًا أو مشروبَ طاقة أو دَمًا بشريًّا! ولا يكترث أن تكون اللُّعبة قد مُلئت بالصُّلبان أو الشَّمعدانات أو الأهِلَّة! المهم أن نلعب، ونقضي الوقت!

ونسبة هؤلاء المستخدمين عالية، كما نشاهد.

والأطفال في الغالب من هذا الصنف؛ لذا لا بُدَّ من حضور المُرَبّي ووليِّ الأمر في اختيار اللّعبة والوقت والكيفية، ولا بُدَّ للموضوع من إدراة؛ إذ الأطفال في حاجةٍ إلى الحضور والملاحظة عن قُرب، وألاَّ نكتفي بعبارة: (لا يشاهده من هُمْ دون الثامنة عشرة من العمر)، أو رمز (+ ١٨).

ومن علامات هذا النمط من المستخدمين: الإفراط في اللّعب واللّهث وراء الجديد من هذه الألعاب، وهدر الأوقات والأموال، وربما العُزلة الاجتماعية وتقمص الهُوية والممارساتِ الموجودة في هذه الألعاب، وربما تقمص شكل بعض (الكركترات) أو الأشكال .. (هههههه).



الثاني: المستخدم التَّحليليّ:

هو مَن يمتلك مَهارةَ التَّحليل، يلعب كغيره، لكن يفرق بين لعبة وأخرى شبيهة بها تفريقًا دقيقًا، ويعرف مميزات اللّعبة التي يحبُّها، وما التَّقنية المستخدمة؟ وما الجديد؟ ولماذا؟ وكيف؟ وماذا لو؟ ويفكر! ويسأل ما تاريخ اللّعبة، وكيف تطوَّرت؟ ويبحث عن تاريخ الألعاب الإلكترونية، وكيف تطوَّرت؟ وما التنافسية الموجودة في السوق؟ وما الأفكار المرتبطة بهذه الألعاب؟ وهذا النمط نتوقع أنه موجود في المجتمع بنسبة معقولة، ومن علامات هذا النمط من المستخدمين:

السؤال؟ ومتابعة الأطروحات في المنتديات المتخصصة، ومحبة التَّعرف على ما وراء الكواليس، والمفاضلة الدقيقة بين الألعاب عند السؤال أو الشراء..



الثالث: المستخدم النّاقد:

هو من يمتلك مهارةَ التَّحليل والقُدرة على النَّقد المنطقي، فيضيف على التَّحليليّ السَّابق القدرةَ على النَّقد: فينتقد هذه اللّعبة في تصميمها، وهذه في ألوانها، وتلك في رسوماتها، وأخرى في فكرتها، وربما ينتقد الإفراطَ في هدر الأوقات والأموال. والشباب من هذا النوع قد ينتقد بعضَ ممارسات المستثمرين من الشَّركات الكبرى على مستوى العالم، وينتقد ممارسات المستخدمين من الشَّباب والأطفال، وربما نقد الأفكارَ والإيديولوجيات التي بُنيت عليها بعضُ هذه الألعاب، وما الجوانب الإيجابية؟ وما الجوانب السلبية؟ وما الذي يُقْبل، وما الذي لا يُقْبل؟

وهذا النمط موجود في المجتمع بنسبة قليلة في اعتقادنا، ومن علامات هذا النمط من المستخدمين: كلُّ مظاهر نمط الشَّاب التّحليليّ، إضافةً إلى الجرأة والنَّقد والاعتداد أحياناً بالرأي، وربما قد يوصله ذلك للعُزوف عن بيئات هذه الألعاب، بل قد يلجأ لمقاطعتها بشكل سلبي أو إيجابي بحسب تكيفه النفسي.



الرابع: المستخدم المبدع أو المبتكر أو الطموح:

هو شاب تحليليّ ناقدٌ، ويضيف لذلك مهارةَ التفكير الإبداعي، أو التَّفكير في النمط غير السَّائد، أو النَّظرة بزاوية ١٨٠ درجة، أو ربما ٣٦٠ درجة. وهو من يحاول إدراك الواقع، ويعيشه بتفاصيله، لكن لا يرضى به أبدًا!! بل يطمح لما هو أفضل، ولما هو إيجابيّ، ويحاول ألاَّ يقعَ في وَحل السَّلبية، وإلفِها، والتَّعودِ عليها. ويكفيه أن يعرف عالم الألعاب بتاريخه ومظاهره بشكلٍ عامّ، ويُدرك ما وراء الكواليس، لكنه يفكر باستمرار كيف نصنع؟ كيف ننافس؟ كيف نفيد من هذا لحياتنا وثقافتنا، وأجيالنا القادمة؟ ويدرك في الباطن أنَّ

هذه الألعاب هي أدوات ومظاهر، وربما قوالب لحضارات أخرى، فلا يستغرِب من تحيُّزها، ومن طغيان هويتها على المستخدم السَّاذج، أو الجمهور البسيط - لا في عدده، بل في تفكيره ودَوره - وينهض ربما لزِمام المبادرة ولا سيما إن كان قياديًّا، ويستثمر ما وصل إليه الآخرُ من تقنيات لابتكار المنافس، بل ربما الجديد والمفيد، والمُبتكَر من عمق ثقافتنا وحضارتنا، والمعبِّر عن الذَّات هذه المرَّة.

وهذا النمط موجود، لكن نظن أنه نادرٌ مع الأسف..

نحن لسْنا ضدّ (البلاي ستيشن) فهو جهاز كغيره، لكن في الوقت ذاته لسنا مع السَّطحية والسَّذاجة والسَّلبية في زمنِ تَنَافُسِ الحَضَارات من حولنا في كل العَوَالم التي نعيشها!



وكذلك هي المنتجات والتطبيقات والأدوات، التي يُصْدِرها الآخرُ لنا، لنهجر الموقفَ الحَديَّ البسيط منها، وأقصد به: معَ أو ضدّ! ولننتقل إلى المواقف المرنة المركَّبة، والنِّسبية المراعية لاعتباراتٍ وأعرافٍ وإيقاعاتِ عصر.

وهذا الموقف هو نتيجةُ: نظرة تحليليَّة عقلية يستخدمها المفكِّرون في قضايا عصرهم ونوازله، ونتيجةٌ أيضًا: لنظرة سريعة لتاريخ تلك المواقف البسيطة والحَديَّة، التي تنقلب بقدرة قادر وبلا منهجية من مَعَ إلى ضدّ، ومن ضدّ إلى مَعَ!!

والضحيةُ هو الجمهورُ الذين ينتظرون الأحكام، ويتبنون التقليد، وينفرون من التجديد والتفكير، ويفوِّضُون غيرَهم في اتِّخاذ الموقفِ والقرار، لا لشيءٍ إلاَّ لأنه الأسهل والسَّائد، فليس بالإمكان أفضل ممَّا كان!

وقد وقف كثير منَّا موقفًا بسيطًا أُحاديًّا ضدَّ الفيس بوك أو تويتر أو غيرهما، وبعض الناس ما زال على موقفه، وبعض الناس انقلبَ للطرف الآخر، وأَمْثَلُهم طريقةً من اقتنع أخيرًا بالموقف النِّسبيِّ المركب.

ولكن ما أرمي إليه، هو موقفٌ ثالث! لا الموقف البسيط، ولا المركب، بل أن ننتقل لمستوى آخرَ، لا بُدَّ أن يُفكِّر فيه، ويتبناه فئامٌ من أصحاب الموقفين، ويتَّفقوا عليه، ألا وهو الموقف الاستباقي في مقابل المُتَرقِّب، والمُبادِر في مقابل المُمَانِع، والمُهاجِم في مقابل

المُدافع. وهذا موقف جماعي متحتِمٌ على العقل والضمير الجَمعي، بغض النَّظر عن قناعات الأفراد بأيٍّ من الموقفين السَّابقين تجاه هذه القضايا.



ولن يقتنع، أو يمارس هذا الدور الاستباقي، إلاَّ مَن كان يفرحُ أو يُحفِّز على تقشير الموز بطرقٍ جديدة، أو: كان يلعب (البلاي ستيشن) بطريقة اللاعب الطموح والمبدع!



نتسابق بجدية وبتفانٍ، بل ربّما بتضحية ومخاطرة، لكن لم نَعِ - في أحايين كثيرة - أننا خارج ميادين السِّباق!!

أنا.. أول من استخدم الإنترنت

رأيتُ مشهدًا - وأتوقَّع أنَّ القارئَ الكريمَ قد رآه -: شابان يملكان سيارتين متماثلتين، مستوردتان من بلدة واحدة، ومن المصنع نفسه، ويتنافسان في الانطلاق، عندما تتحوّل إشارة المرور إلى اللّون الأخضر، ويستمرَّان في التَّنافس والتَّسابق حتى يغيبا عن الأنظار!

حقيقةً استوقفني هذا المشهد، وجاء الوقتُ للتَّعليق عليه من وِجْهَة نظري، لكن بطريقة إثارة التَّساؤلات وإشعال التَّفكير الذي وَعدتُ القارئَ الكريمَ به، فأقول:

- هل تستمتع بمشاهدة سباق السَّيارات المتطابقة والمتماثلة؟
- ما الذي يمكن قياسُه في سيارتين متماثلتين؟ أو متطابقتين؟
- هل لمهارات السَّائق وخبرته دَورٌ في تحقيق السَّبق؟

أترك لك الإجابةَ، والتَّفكير في الأمر، ولكن سأخبرك بوِجهة نظري، وأجيبُ، فأقول:

- أنا أستمتع بسباق السَّيارات المتباينة، لا المتماثلة.
- يمكن قياس السُّرعة والتَّسارع في المتماثلتين، لكن بشكل ضعيف جدًّا.
- أعتقد أنَّ الدَّور حينئذٍ لمهارات السَّائق، وللحظِّ الذي يكتنفه، معًا!

هذه إجاباتي، وقد تختلف معي أو تتفق، لا إشكال عندي، فأنا متأكدٌ أنَّ لك وِجهة نظرٍ ومبررات، كما أنَّ لي وِجهة نظرٍ ومبررات.

ولكن لو تجاوزنا هذا كلَّه، وسألتُك: هل سباق الشَّابين المذكورين في المشهد السَّابق، كان في ميدان سباق حقيقي أم موهوم؟ وهل الفوز والسَّبْقُ له قيمةٌ مضافة على الفرد والمجتمع؟!

أعتقد أنّ الإجابة يقينًا: ميدان موهوم، ولا يُشكِّل إضافةً حقيقيةً للفرد ولا للمجتمع، عدا لذّة أو نزوة لحظية للسَّائق، ولمن يستمتع بهذه المسابقات! بل لو سألتَ الشَّابين أنفسهما لقالا شيئًا قريبًا من ذلك؟

والذي أودّ لفتَ النَّظر إليه، أننا نتسابق في أحايين كثيرة، وبجدية وبتفانٍ، بل ربما بتضحية ومخاطرة، لكن خارج ميادين السباق! وبعيدًا عن مضامير الشَّرف والسُّؤدد!

قد يقول بعض الناس: هذه رياضةٌ وترفيه! فأقول: نعم، لكن اسمح لي أن أقول كذلك: عارٌ علينا ألا نملك في هذه السِّباقات إلاَّ الأرجل والأيدي والسحْنة العربية!

وفي مضامير التقنية وعوالم الإنترنت ومجاهيل الألعاب الإلكترونية تجد أنّ هناك عباراتٍ وسلوكات لكثير من المستخدمين، هي مثل عبارات وسلوكات المتسابقين عند إشارة المرور، يتسابقون بحماس

وجدية، ولكن خارج مضمار السِّباق الحقيقي! وإني بعدُ لأتساءل:

هل قدرنا أن نستهلك ما ينتجه الآخر؟!

هل قدرنا أن نتلذذ بسكاكرَ أجنبية؟!

هل قدرنا أن نكون فئرانَ تجاربِ مختبرات عالمية؟!

هل قدرنا أن نكون اختصاراتٍ على سطح المكتب؟!

هل قدرنا أن نتبع الدَّليلَ الإرشاديَ دائمًا؟!

هل قدرنا أن نفرح بـ (قريبًا في الأسواق)؟!

هل قدرنا أن يعلوَ أكتافَنا الآخرون؟!



لا لومَ - فقط - على المتسابقين، ولا على المستخدمين، ولا على المستهلكين، فأنا أحدهم! ولستُ وليًّا على أحدهم! ولكني أعترض على عقل الأمّة وضميرها الجَمعي الذي لم يستطع نقلَنا ونقلَ هؤلاء المساكين إلى ميادينِ ومضاميرِ السِّباق الحضاري بين الأمم. أنتقد عقلَنا وضميرَنا ومؤسساتِنا وقياداتِنا، التي لم تهتمَّ بالأفكار ولا المفكرين، ولا المستويات العُليا من التَّفكير.

بل لو تأملتَ غالبَ مشروعاتنا التَّقنية الفردية والمؤسساتية، لوجدتها من هذا الباب!

ولا لومَ على العامَّة والصِّغار فيما يعتقدون أنه سِباق حقيقي، فينطقون بعبارات مُشعرةٍ بالسَّبْق على غيرهم في ميادينَ كثيرة، وليس في ميدان واحد. لا تثريبَ عليهم؛ لأَنَّ كثيرًا من هذه العبارات هي في إطار البساطة المُسْتَمْلَحة أحيانًا، وفي بيئتها وإطارها الطَبْعي أحيانًا أخرى، كقول أحدهم لأقرانه: أنا .. أول من استخدم الإنترنت!

وقول آخر: اكتشفت لعبةً لم يكتشفها أحدٌ قبلي!

وأين مخترعها، ومُطوِّروها منك؟!

وقول ثالث: من زمان عندي إيميل!

هذا كله لا بأس به، لكن أن تنتقل هذه البساطة والسطحية والغفلة للمختصين والمثقفين والمؤسسات والمشروعات، وربما القيادات الموجِّهة، والأموال المستثمرة في هذا المجال، فهذه بساطة من نوع آخر، لا تجوز إلا على سبيل التندر!

وقد تقبل في مرحلة دون مرحلة، وفي بيئة دون أخرى، وفي حالة دون حالة، ولكن أن تكون الدَّيدَنَ والسِّمةَ الغالبةَ؛ فهذه كارثة حقيقية!!



وَعْيُنا بالحياة والعوالم من حولنا مُشْتَرَكٌ في جزءٍ، ونسبيٌّ في الجزء الآخر، بحسب الذَّات والفَهْم والانطباع والبيئة، ولكن عندما نكتسب معلومةً جديدةً بعد حاجةٍ أو بحثٍ أو موقفٍ يتغيَّر هذا الوعيُ بحسب قوة المؤثِّر ومرونة المُتأثِّر؛ لندرك أنَّ العالمَ أرحبُ بكثير ممَّا كنا نتصوَّر، لكنه في الوقت ذاته منطوٍ في الإنسان الواعي!

(لا تـغْرَقْ في شِبر مُويَـهْ)

أنـا.. أول من استخدم (النِّتْ)، نعم أنـا.. كنتُ أوَّلَ من استخدمه في عائلتي التي كانت مُكوَّنة من فَردين أنا وزوجتي الكريمة، ووقعت لي طُرَفٌ وعجائبُ كثيرة، منها أنّ أحد الأصدقاء ساعدني على اتِّخاذ قرار شراء جهاز بكامل تجهيزاته للبدء باستخدام الإنترنت! وقام مشكورًا بتوصيل الأسلاك الكثيرة والمختلفة، وتعريف الأجهزة بعضها على بعض!

ومن جملة ما قام به ضبطُ المتصفح على موقع الرَّدادي أو دليل المواقع العربية www.raddadi.com، الذي يقال: إنه أول دليل عربي ١٩٩٩م أو سعودي – لا أعلم –، وشرح لي بإسهاب كيف أجري الاتِّصال، وكيف أفتح المواقعَ، وكيف أقفل الصفحات، وما إلى ذلك..، ثم بدأت الاستخدامَ، ومن ثَمَّ الاستغناء تدريجيًّا عن صاحبي الذي أكثرتُ عليه من الأسئلة وطلب حَلِّ المشكلات، ومكثت مدة، وأنا أفتح المتصفح، فيظهرُ الرَّدادي في وجهي مباشرةً، ومنه أبْحِرُ إلى غيره، واستمرَّ هذا الحالُ أيامًا وأسابيع، حتى فوجئت بأشخاص يدخلون الإنترنت من دون المرور على الرَّدادي، وكانت الدَّهشة! كيف يتمُّ ذلك؟!

ثم سألتُ، وناقشتُ من أعرف، حتى تبيَّن لي الأمر، وفهمتُ القِصَّة، وبدأ إدراكي يتَّسع شيئًا فشيئًا، وكان هذا الموقفُ هو آخر عهدي بقوقل العرب الأول، كما أسميه. وَعْيُنا بالحياة والعوالم من حولنا مُشْتَرَكٌ في جزءٍ، ونسبيٌّ في الجزء الآخر، بحسب الذَّات والفَهم والانطباع والبيئة، ولكن عندما نكتسب معلومةً جديدةً بعد حاجةٍ أو بحثٍ أو موقفٍ، يتغيَّر هذا الوعيُ بحسب قوَّة المؤثِّر ومرونة المتأثِّر؛ لندركَ أن العالم أرحبُ بكثيرٍ ممَّا كنَّا نتصوَّر، لكنه في الوقت ذاته منطوٍ في الإنسان الواعي!!

كُنْ في طليعة المستخدمين، وتعرَّف على النِّتاج الماديِّ، أوَّلاً بأوَّل، وواكب العصرَ، ولكن كُنْ ميتافيزيقيًّا في عالم المادة والتِّقنية بالذات، وابحث عما وراء الظواهر! لا مَن وراءها؟ ولا تَرْكَنْ لعدد المعجبين في فيس بوك، ولا المتابعين في تويتر، ولا تقفْ كثيرًا عند المعجبين، أو الناقدين في يوتيوب، وفلكر، وبلوقر.



ولا تَأْلَفْ إلاَّ ما ينفعك، لا ما قد يضرك، وما يزيدك، لا ما ينقصك، واعْتَبِرْ - في أدنى حالاتك - بِمَنْ يُرَوِّج للمخدرات، ولا يستخدمها!



الترجمة عن الآخر إن كانت هي الأصل في البناء الثقافي لأيِّ أمَّة، أو الغالب عليه، فهذه أَمَّةٌ متأخرةٌ مقهورةٌ متراجعةٌ، وهذا ناقوسُ خطرٍ، ومسمارُ نعشٍ، ونذيرُ شؤمٍ، وسيصاب الأحرارُ من هذه الأمَّة قطعًا بمتلازمة النُّسخة المُتَرْجَمة! وعقدة (الآخر)!

عقدةُ النسخة العربية

في الدعاء المأثور: (**وأعوذ بك من غلبة الدَّين، وقهر الرِّجال**)، ومن القهر، بل من أعظمه قهر العقول أو قهر الأفكار، وهو أنواع كثيرة، منها: اللامبالاة بها، والسطحية في التواصل معها، ومصادمتها بالسلوك غير العقلاني، ومقارعتها بالظن لا باليقين، أو تجاهلها مع عدم الجهل بها، وتفريغها من مضمونها، بحجة أنها خيال، أو حلمٌ بعيد، أو فلسفةٌ ومنطقة!

ومن قَهْر الأفكار: سرقتُها من أصحابها، أو نسبتُها لغير مبدعيها، أو تجييرُها لصراع مصالح، أو لطريقٍ مسدودٍ مَرسومٍ سَلَفًا..



لكنْ من أشدِّ الأنواع خَفَاءً وخُطورةً في قَهْر العقول والأفكار – في اعتقادي –: ما نسمِّيه هنا (المُصَادرة)، ومعنى مُصَادرة الأفكار: السَّماع لها ابتداءً، وإظهارُ الحَفَاوة بها ظاهرًا، ثمّ التَّعامل معها بنقيض ذلك حقيقةً وواقعًا. وتحليل نفسية وعقلية (المصادرة) تقول: هناك نوعٌ من (المتنفذين) قد تكون بسيطةَ التَّفكير أو سطحية الفَهم، أو مُعْتلَّة النَّفس والفكر، أو على الأقلّ لها نمطٌ مخالف في التَّفكير، أو جاهلةٌ جَهْلاً مُركَّبًا، أو لها فَهمٌ وتفسيرٌ مُسْبَقٌ بوجه من الوجوه، أو لاعتبار من الاعتبارات، أو تفهم الأفكارَ بطريقتها الخاصَّة، لا بما هي عليه في الحقيقة.

لكن ليست هذه مشكلتها، فقد يكون ذلك خارج عن إرادتها بسبب السِّمات الشَّخصية أو التنشئة أو البيئة أو الخلفيات أو المرجعيات الثقافية! مشكلتها فقط في (المصادرة)، أي: إنها تُقْصي كلَّ فكرة جديدة لمعنًى قديم حاضرٍ لديها، وتجزم (أنَّها هِي).

ولا يمكن أن تتبيَّن الفرقَ بين فكرة وأخرى شبيهةٍ بها في الظَّاهر، ولا تتواضع لتقول: (كأنَّها هِي)، أو هكذا أفهمها. لا، بل هناك نوعٌ من الإصرار على المفاهيم والمواقف الذّاتية، ثم يتمّ تعميم هذا التَّفسير على كلِّ الأفكار، أو على أفكار كثيرة. وهكذا يتمّ التَّعامل مع العقول والطاقات والأفكار.. ثم النتيجة الحتمية في نهاية المطاف: لا أفكارَ جديدة نسمعها! ولا تفكيرَ فيما يطرحه الآخرون، بل (مصادرة!): لا عقول غير عقولنا! لا مواقف سديدة ورشيدة غير مواقفنا! ﴿ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴾ [غافر: ٢٩].

وعلاقة هذه المقدمة المتفلسفة بموضوعنا، أنني ناقشتُ هذا الموضوعَ مِرارًا وتَكرارًا مع بعض العقلاء – أحسبهم –، ووجدتُ بعضهم يقول: سمعتُ أناسًا يقولون مثل قولك، ويُفكِّرون بمثل تفكيرك، ولكن لديكم في الحقيقة عقدةٌ واحدة، فأنتم تطالبون بشيء واحد، ولكم حلٌّ واحدٌ، وهو نسخة عربية للشبكات الاجتماعية!! وهذه – ولله الحمد – موجودة في التَّرجمات العربية لذات المواقع، وفيس بوك يعتمد اللَّغة العربية، وتويتر اعتمدها أخيرًا بعد أن اعتمد لغات الشَّرق والغرب، والشمال والجنوب! بل هناك شبكات عربية ١٠٠٪ مماثلة!! لذا، فكل ما لديكم هو مجرد (عقدة!!).

وهذه عينُ (المصادرة)، وتوضيح ذلك بطريقة منطقية: أنّ المُصادِرَ يقدِّم في عقله بمقدمتين منطقيتين – من وجهة نظره – ليخلص إلى نتيجة منطقية، لكنه يغفل أن المنطق الصحيح يرفض أن يكون الشَّطر الثَّاني في المقدمتين شيئاً واحداً، بل لا بُدَّ أن يكون مختلفًا، حتَّى تكون النتيجة صحيحة، فيقول:

١- المقدمة الأولى: التساؤلات التي تطرحها = هي مشكلة ترجمة عربية.

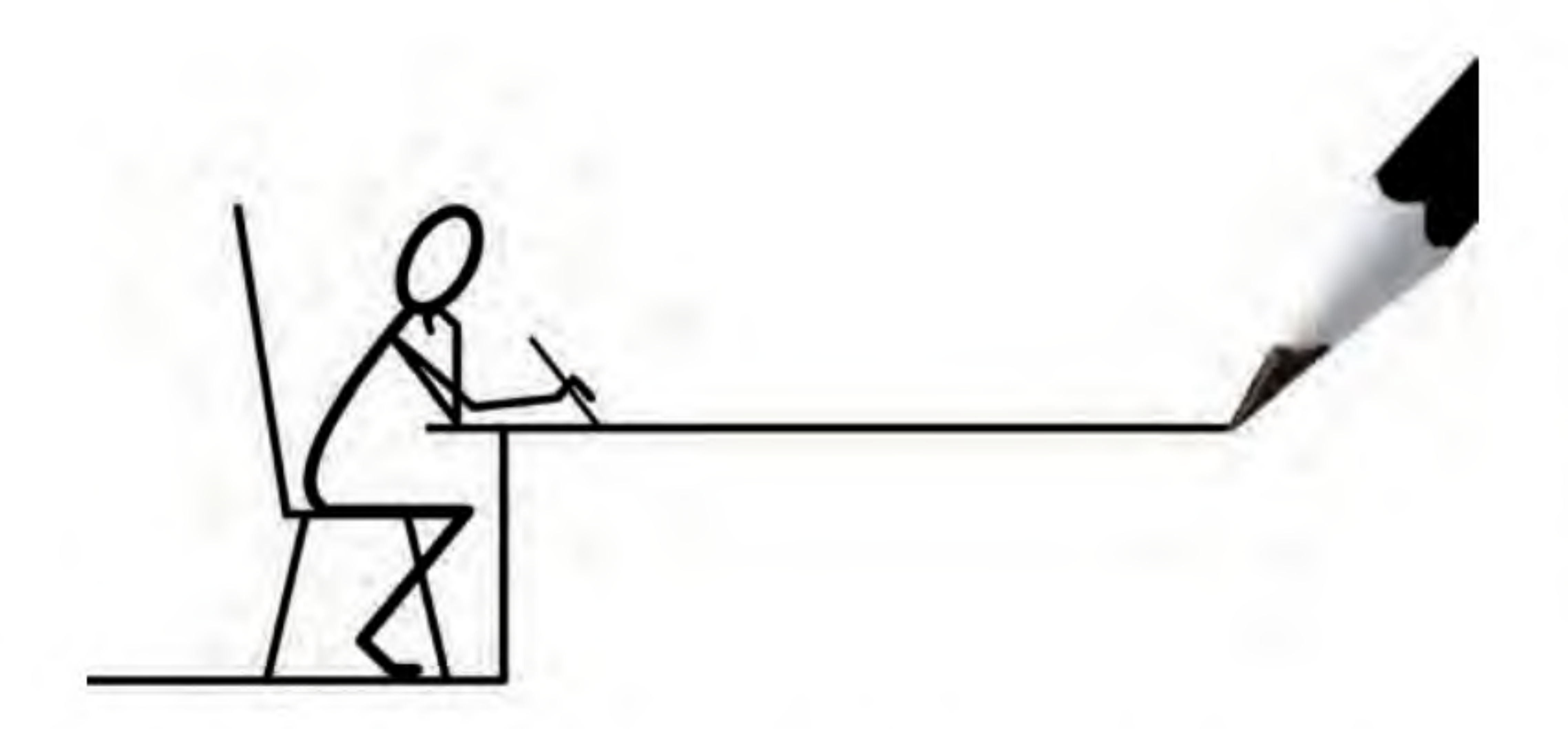
٢- المقدمة الثانية: وكلُّ مشكلة ترجمة = حلّها في النسخة العربية الكاملة.

٣- النتيجة: إذًا التساؤلات التي تطرحها = حلّها في النسخة العربية الكاملة.

واسمحوا لي، فإن من اعتقد أن تساؤلاتي، وتأمُّلاتي هذه التي أطرحها: ماذا بعد تويتر وفيس بوك؟ إنّما هي نابعةٌ عن عقدة ترجمة، ونسخة عربية لتقنيات التَّواصل الاجتماعي، فقد صادر عقلي وفكرتي، وقهرني قهرَ رجال! بل صادر أفكارَ آخرين وعقولهم فكَّروا في مثل ذلك، أو لهم الحقّ أن يفكِّروا بحرية واستقلالية!

الترجمة: هي أداة ثقافية لنقل نتاج حضارة أمَّة إلى أمَّة أخرى، وهذا النِّتاج هو فِكرٌ قبل أن يكون محتوًى؛ لذا، فالناقل عالةٌ على المصدر، وتبعٌ له، ولو أفرغ المحتوى كلَّه، وبقيت الفكرة وأدواتها، لما انفكَّ من التَّبعية ولو في جزء! ومن الغباء الظَّنُّ بأنَّ النَّاقل سينقل المحتوى مُنْبَتًّا عن فكرته. لذا، فإنَّ الذي أرمي إليه بتساؤلاتي هذه مرتبط بالفكرة، لا بالمحتوى.

مع أنَّ الجميعَ مُتَّفقٌ على أنَّ التَّرجمة عن الآخر، إن كانت هي الأصل في البناء الثَّقافي لأيِّ أمَّة، أو الغالب عليه، فهذه أمَّةٌ متأخرةٌ مقهورةٌ متراجعةٌ، وهذا ناقوس خطرٍ، ومسمارُ نعشٍ، ونذيرُ شؤم على الدَّوام، وسيصاب الأحرارُ من هذه الأمَّة قطعًا بمتلازمة النَّسخة المترجمة! وعقدة (الآخر!).



مدار تساؤلاتي يا سادة، هو عالم الأفكار، وعالم الأفكار لا يدركه إلاَّ الأحرار، والمؤمنون أحرار، والعقلاء أحرار، والمتجددون والمبدعون أحرار.

والحقيقة الموجزة التي أنطلق منها تقول:

(السِّباق الحضاريُّ.. هو في عالم الأفكار أوَّلاً، ودائمًا).



فلا غضاضةَ – أحيانًا – أن نكون النُّسخةَ العربيةَ في عالم الأشياء! فهذه ضريبة طَبَعية للتَّخلف عن ركب الأمم الماديّ، أو: لأنَّ ذلك داخلٌ في قول الله تعالى:﴿ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ﴾ [الزخرف: ٣٢]، فالبشر والأمم مسخرة لبعضها بعضًا، ولكن أن نكون النسخة العربية من عالم الأفكار – وعلى الدوام – فهذه هي الكارثة.

وقد بحثتُ، وتابعتُ كثيرًا من الأطروحات المهتمة بشبكات التَّواصل الاجتماعي، والإعلام الجديد، وعوالم التقنية، والتأثير، ومن أناس مختصين ومبرزين في مجالاتهم، فوجدتُ أننا في مجمل ذلك كلِّه محكومٌ علينا بألاَّ نفكِّرَ إلاَّ في نطاقاتٍ دُنيا!! ولا نتنفس إلاَّ على مستوى سطح البحر، ولا نلعب إلاَّ في الوقت بدل الضَّائع، ولا نتمتع بالشَّمس إلاَّ قُبيل غروبها، ولا بالقمر إلاَّ في نهاية الشَّهر!

وأمَّا النِّطاقات العُليا من الفكر والتَّفكير التي من شأنها أن تكون نَمَطًا وإيقاعًا جديدًا للعصر الذي نعيشه فلا، وألف لا!

فهذه من اختصاص السَّيِّد والرئيس والإقطاعي والقوي والشَّمال والغَرب! بل كأن قدرَنا أمَّةَ العرب والإسلام التَّبعيةُ والتَّقليد، ولو رُمْنا التَّجديد، وعزمنا على التَّغيير، لكان فقط في نطاق نتاج الآخر، وتحسينه، وتطويره، وكأننا لا نُحسن إلاَّ التقديم للآخر ولمنتجاته الباهرة! وكأنَّ كادر أمَّتنا الوظيفي في مصنع حضارات الأمم هو: التسويق للغير !! ومن نتاج ذلك مع الأسف: أن الأفراد والمنظمات المَعْنية بتقنية المعلومات وأمنها في بيئتنا العربية، هي غالبًا في موقف المدافع، والمترقِّب والمتراجِع ربما، وأمَّا المبادرة والمبادأة فعزيزةٌ في بني قومي!

وبالتأمُّل في المشروعات التَّقْنية الكبرى التي أصبحت جزءًا من تواصل الإنسان بالإنسان، ومن نبض المجتمع المعاصر، مثل: الإيميل - ومحركات البحث - ومواقع التواصل الاجتماعي - ومواقع الوسائط - والحياة الافتراضية - والألعاب الإلكترونية. بالتأمُّل فيها، نجد أنها أفكارٌ في بداية أمرها، والفكرة غالبًا لتحقيق مَنفعة مرغوب فيها، أو لتجنب مَضرَّةٍ منفورٍ منها، أو لتحقيق طموح مُعَيَّن، أو الوصول إلى حلم شبه مُتَجَسِّد، أفكارٌ ومبادأة، ومبادرة من فرد أو أفراد، يتحلَّون بالأصالة، وينشدون المعاصرة، بل الاستشراف إلى المستقبل القريب والبعيد، وشيئًا فشيئًا يكتب الله لها السبق والظفر والبقاء، بقدر ما تمثلت من الأسباب الصَّحيحة.

- فقد كُنَّا، ولم يكن إنترنت ..

- ثم بدأ استخدام التواصل الشبكي في أمريكا في وزارة الدِّفاع الأمريكية في السَّبعينيات تقريبًا عام ١٩٦٩م، ووَصَلنا في شكله النِّهائي في التِّسعينيات، وصُرِّح لبعض الدُّول العربية بالاستخدام في القطاع العسكري عام ١٩٨٥م، ولم يبدأ فِعليًّا في السُّعودية طوعَ استخدام العامَّة إلاَّ عام ١٩٩٤م، أو بعده.

- أي: بدأ الآخرُ، ثم تبعه المستخدم العربي.. الإنترنت فكرةٌ في أوَّل أمره، ثم تجربة، بل تجاربَ عدّة، ثم واقعٌ، ثم تطويرٌ، ثم واقعٌ، ثم تطويرٌ ... إلخ، ثم منتجٌ جاهزٌ للتَّصدير، وللتَّصريح للغير بالاستخدام والاستنساخ والتَّرجمة فقط.

- وبعدها بدأت منتجات التَّواصل الشَّبَكي وأدواته تتَّسع وتتطور، وتأخذ أنماطًا مُعيَّنة، وكلُّها قائمة على فكرة في بداية المطاف،

يتبادل النَّاس من خلالها المعلومات والرَّسائل، ثم تتطور شيئًا فشيئًا لتلبي مزيدًا من رغباتهم واحتياجاتهم.

- بدأ الإيميل يزداد قوةً، وتزداد حاجة النَّاس إليه، وظهرت شركات كبرى للبريد الإلكتروني، مثل: ياهو ١٩٩٤م، وهوتميل ١٩٩٦م .



- وكانت تحمل في طيَّاتها منتجات أخرى، مثل: محركات البحث، والقوائم، والمجاميع البريدية، والخدمات الإخبارية، ومواقع الأدلة، التي كنتُ أظنّ في أول استخدامي للنتِّ أنَّه منحصرٌ فيها!

- ثم بدأنا بالنُّسخة العربية من شركات البريد الإلكتروني العربية!

- فظهر مكتوب ١٩٩٧، وأينَ، ونسيج، وغيرها .. وأعتقد أنه تمَّ الاستحواذُ على بعضها !

- وبدأت المواقع العامَّة والخاصَّة والمتخصصة في التَّشكل والتَّوسع، وظهرت الحاجة بشكل أكبر إلى الأدلة، وأشدّ من ذلك: الحاجة إلى محركات البحث، وإضافة للسَّابق ظهر الإمبراطور (قوقل ٢٠٠٤م) بوصفه أقوى محرك بحث وأسهله - من وجهة نظر الكثير -.

- ثم بدأنا بالنُّسخ العربية مع بعض محركات البحث الجزئية وغيرها!
- وبدأ التَّنافس بين الشَّركات الكبرى على المستخدمين، وبدأت السَّيطرة والاستحواذ، وبدأت كل شركة تتوسع في خدماتها لتجبر المستخدم على البقاء وفيًّا لها قدرَ المستطاع، وتربعت (قوقل، وهوتميل)، وغيرهما على العرش، وخفتت أضواء كثيرة.
- وأصبح المستخدم في حاجة أكبر إلى تركيز الجهد، وإلى ضمان سهولة الاستخدام وجودته وقابليته.
- ثم ظهرت مواقعُ الحياة الافتراضية (الثانية) ومحاولاتها وتجاربها ٢٠٠٣م.
- ثم ظهرت فكرة جديدة تزيد النَّاس قُربًا من بعضهم بعضًا، وتُحقق تواصلاً أكبرَ فيما بينهم، ألا وهي شبكات التَّواصل الاجتماعي من عام ١٩٩٥م وحتَّى يومنا هذا، وأصبح هذا النمط هو المستحوذ الأهم على الإنسان المعاصر، فمن ظهور الشبكات الاجتماعية الخاصَّة بالطلاب الأمريكيين، وحتَّى ظهور الشبكات العالمية مثل (فيس بوك ٢٠٠٤م)، و(تويتر ٢٠٠٦م)، ومواقع الوسائط، مثل (يوتيوب ٢٠٠٥م).

ثم بدأنا بالنسخة العربية فيما سبق ذِكْرُه..

والفيس بوك فكرة! والتويتر فكرة! واليوتيوب فكرة! والفلكر والبلوقر.. كلُّها أفكار.

وهكذا هي الأفكار تنطلق من حاجةٍ، أو طموحٍ، أو تحدٍّ، وتكون خيالاً محضًا، كالهواء في أوّل أمرها بلا جِرم ولا لون، ثم تتكثّف مع البرودة، وبجمع العقول، وضم الأفكار، حتى تصبح ندًى وطلًّا.. وقد

يحتفي بها السبب، ويحتفي بها القدَر، فتكون قطرات ماءٍ تتساقط وبْلاً يعمّ الأَرضَ نفعُه، فيُنْبِتُ الزَّرعَ، ويُدِرُّ الضَّرعَ، وقد تشكر البشرية ذلك لربها، وتقف عند حدوده، وتسخر الإمكانات لعمارة الأرض وإصلاحها، وقد تطغى بهذه النِّعمة الجديدة، فيمدّ لها الله مَدًّا، ويزيدها طاقة وجهدًا، فيزداد خيرها وماؤها، وقد ينضم ماءُ السَّماء إلى ماء الأرض، فيطغى الماء على أمرٍ قد قُدِر، ويكون عذابًا ونقمةً للبشرية، التي لا تأبه لربِّ البريّة!

ولا أنسى أن أذكِّرَكم بأن مواقفنا في البيئة العربية، وفي كلٍّ هذا التَّاريخ، والتَّسلسل الزَّمني لا تتعدى الممانعة! أو الاستنساخ والترجمة في ذلك كلِّه، أو في أعمِّه وأغلبه! أو التسويق والإشهار للغير!



وإليكم جدولاً تقريبيًّا لبعض تاريخ الأفكار والمشروعات التَّقْنية الكبرى، لا لبيان أسبقية الآخر، فهو سابق في هذا الميدان، بل لتنبيه خلايا الهِمَّة والغَيرة والتَّفكير في عقولنا ونفوسنا:

م	المشروع	المنتج الأصلي	عام	المشاركة العربية	عام
١	اتصال شبكي	البداية من أمريكا في وزارة الدفاع	١٩٦٩م	تونس	١٩٨٥م
				مصر	١٩٩١م
				الكويت	١٩٩٢م
				السعودية فعليًّا	١٩٩٤م
٢	البريد الإلكتروني	ياهو!	١٩٩٤م	مكتوب وأين ونسيج	١٩٩٧م وما بعد
		هوتميل	١٩٩٦م		
٣	معارض الفيديو والصور	يوتيوب فلكر	٢٠٠٥م ٢٠٠٤م	عرب شير وغيره	٢٠٠٧م وما بعد
		فلكر	٢٠٠٤م ٢٠٠٥م		
٤	شبكات التواصل الاجتماعية	البدايات	١٩٩٥م	شبكة (أنا يو) شبكة (مسلم) شبكة(المدينة) وغيرها..	٢٠١٠م وما بعد
		فيس بوك	٢٠٠٤م		
		تويتر	٢٠٠٦م		



إنَّ إدراكَ أسرارِ غريزة التَّواصل وأبعادها، وفطرية الاجتماع، وحتمية التَّعاون بين النَّاس هو الفكر المبرمج لتقنيات العصر اليوم، أو ما يُسمَّى بشبكات التَّواصل الاجتماعي.

هيِّئ الجوَّ.. وخُذْ ما تشاء!!

تساؤلاتي القديمة والحديثة، قادتني إلى تقنين نظرية أسميتها بنظرية (بيئة التَّواصل الإلكتروني)، واختصرتها في شعار: (هَيِّئ الجَوَ.. وخُذْ ما تشاء!!)، وبيانها في النِّقاط الآتية:

- إنَّ إدراكَ أسرارِ غريزة التَّواصل وأبعادها، وفطريةِ الاجتماعِ، وحتميةِ التَّعاون بين الناس، هو: الفكر المبرمج لتقنيات العصر اليوم، أو ما يُسمَّى بشبكات التَّواصل الاجتماعي، وكلَّما كان هذا الفكرُ أعمقَ، كان أقدرَ.

- شبكات التَّواصل الاجتماعي عبارة عن بيئاتٍ، أو (منصَّات) على الإنترنت للتَّواصل الإنساني، للتشارك في مظاهر الحياة المتمثلة في نصوصٍ وصوتيات ومرئيَّات، وشبكة علاقات.

- في عوالم التَّقْنية والعوالم المعاصرة، لا بدَّ للإنسان من بيئة للتَّواصل تختصرُ الزَّمان والمكان، ليتَّصل الإنسانُ بالإنسان، ويحققان تواصلاً مَرِنًا وحيويًّا ومستمرًّا وَفْق رابطة، وعلاقة محببة أو مشتركة، واحدة أو متعددة، وما تقدمه هذه البيئة للمستخدمين، وما تحصل عليه منهم في علاقة طَرْدِية ذكية، ومن ذلك:

- كلما كانت البيئةُ وأدواتها التي تشكل الوسيط بين هذين الطرفين أذكى، وقدمت تسهيلاتٍ أكبر وأمتع، وأكثر قابلية للاستخدام، وأقرب إلى سلوك المستخدمين وأذواقهم، استقطبت أكبر عدد من الأطراف الرَّاغبة في التَّواصل لذات التَّواصل، أو لثماره.



- وكلَّما كانت البيئة وأدواتها أمتعَ، كانت محلًّا للفطرة والغريزة، وللعقل والقلب.

- وكلَّما كانت البيئةُ قادرةً على إخفاء تحيُّزها، أو كانت بالفعل أقلَّ تحيُّزًا لعِرْق أو مذهب أو فن، انتمى إليها مستخدمون أكثر!



- وكلَّما أصبحت هذه البيئة حاجةً أو ضرورةً حياتيةً للمتواصلين، امتلكت معلوماتٍ فرديةً وجماعيةً، بسيطةً ومُركَّبةً.

- وكلَّما زاد توسُّع هذه المنصَّات وانتشارها على رُقعة العالم الجغرافية، اشترك المستخدمون في تغيير الحاضر ورسم ملامح المستقبل.

- وكلَّما كانت الخدمات المُقدَّمة للمتواصلين مجانية في الظَّاهر، زاد ضخُّ المعلومات والبيانات.

- وكلَّما كانت هذه البيانات بسيطةً وعَفْويةً، زادت دقَّتها ومصداقيتها، وزادت من قدرة (عَمْلقاتي)[1] على التَّنبؤ بسلوك المستخدمين أفرادًا وجماعات ومجتمعات!

- وكلَّما وصل أحدٌ لذلك كلِّه، استطاع استثمار الأفراد والجماعات والمجتمعات لما يريد، وكيفما يريد، وفي الوقت الذي يريد.

- وكلَّما كان مُقَدِّم الخدمة أذكى في تعمية مراداته، كان أحبَّ بين مريديه!

تأمَّل معي صورَ الاتِّصال والتَواصل كلَّها بدءًا بالاتِّصال الشَّبكي، ونهايةً بشبكات التَّواصل الاجتماعية، وتطبيقات التَّواصل على الهواتف الذكية، ستجد أنَّ اعتبار هذه النظرية هو سرُّ التنافسية

(١) سيأتي الحديث عنها (ص ١٠٤).

العالمية الضخمة، التي أصبحت اليوم لا تقدر بثمن!!

لقد قمتُ بتحليلٍ مختصرٍ لأنماط بيئة الاتِّصال والتَّواصل قديمًا وحديثًا، وهو قائمٌ على ملاحظاتي بوصفي مستخدمًا من أوسط المستخدمين - كما ذكرتُ ذلك سابقًا -:

١- الاتصال الشبكي:

بدأ الموضوع لحاجة، سواءً بدأ كما ذكرنا في مشروع (أربانت عام ١٩٦٩م) في وزارة الدِّفاع، أو كان له إرهاصات قبل ذلك، فالبداية كانت منحصرة في بيئة أمنية أو حكومية، تملك تمويلاً ضخمًا للدِّراسات والمشروعات، وتحتاج إلى ربط فروعها، ونقل المعلومات، وتحقيق اتصال مع المؤسسات البحثية، وكان النمو مدروسًا ومسيطرًا عليه.

٢- الاتصال الشبكي المطوَّر:

تطور مشروع (أربانت) وتحول إلى (الإنترنت)، وكان عام ١٩٨٣م بدايةً فعلية بدخول فِعْليٍّ لطلبة الجامعات الأمريكية، وتحقق هدف الاتصال بينهم ونقل المعلومات والتَّراسل عن طريق البريد الإلكتروني، وقد كان من نتائج ذلك ظهورُ المتصفح (موزاييك، وشركة نيتسكيب) في بيئة جامعية، وكان الاتِّصال الشَّبكي قد بلغ ذِروَته بين الجامعات والقطاعات الأمنية والعسكرية، وكان النُّمو والتزايد مطَّردًا.

٣- (الإنترنت) الشَّبكة العنكبوتية العالمية:

بعد البيئات الجامعية، وتفعيل الإنترنت عن طريق القطاع الخاصّ، بدأ الانتشارُ الفعلي في أواخر القرن التَّاسع عشر، وبداية القرن العشرين، وبحلول ١٩٩٤و١٩٩٦م وما بعدهما انتشر الإنترنت على مستوًى دَوليٍّ عريض، وتوسَّع نطاقُ الاتِّصال من البيئة الأمريكية والغربية، ليشمل كلَّ مَن صُرِّح له باستخدام الإنترنت من بقية الدُّول، وكان النمو انفجاريًّا وبشكل أفقي واسع.

٤-المراسلة الإلكترونية:

(أ) البريد الإلكتروني:

قد تقول هذا أداة تَقْنية، وليس بيئةً، ولكن لو تأمَّلت الموضوعَ من زوايا عدَّة لوجدته أداةً باعتبار، وبيئةً باعتبار آخر، وقد بدأ البريد الإلكتروني مع بداية (أربانت) ومع (الإنترنت)، واستمرَّ متطورًا وأساسًا حتَّى اليوم. وللرَّمز @ قصَّة، ولكن لا أعرف مخترعًا له، بل هو نتيجة هذا الاتِّصال الجمعي وأساسه، وبدأ بالنَّصِّ البسيط، ثم المطوَّر، ثم نقل البيانات البسيطة، ثم تطوَّر بحسب السُّرعة والسَّعة. وهو أساسٌ كما قلنا في الاتِّصال؛ لذا هو مفتاح الخدمات كلِّها تقريبًا، ودَوره عظيمٌ، والتَّنافس عليه أساسٌ بين الشركات، وهو النواة الأولى للشَّركات الضخمة المُقدِّمة للخدمات المتكاملة، وفي موضوعنا هذا، هو: أساس التَّواصل، ونمو الإيميل واستخدامه ما زال مستمرًّا.

(ب) المجموعات البريدية:

وهي مثل البريد، أداة باعتبار، وبيئة باعتبار، وهي فرع عن البريد الإلكتروني، وتقنيةٌ له، وأداة ممتعة للتَّواصل بحسب الرغبات والميول. وأنا أعدّها اللَّبنة الأولى في بناء شبكات التَّواصل الاجتماعي، حيث صنَّفت النَّاس إلى مجموعات حسب ميولهم، واهتمامهم، وعلاقاتهم الاجتماعية.

٥- المحادثات (الشات):

بدأت بالتَّراسل الفوري في مقابل التَّراسل غير الفوري (الإيميل)، وتطورت لما يُسمّى (الشَّات)، أو (التَّشات)، بمعنى: التَّراسل والمحادثة بالعامية أو اللَّغة البسيطة الدَّارجة. وهي متَّهمة منذ النشأة بأنها أداةٌ وبيئة لإهدار المقومات اللّغوية والأخلاقية، حتَّى في المجتمع الغربي.

وقد مرَّت بمراحلَ وتدرجٍ منطقي، فبدأ الشَّات النَّصيُّ، ثم الصَّوتي، ثم المرئي، ثم الجماعي.

وظهر برنامج (البالتوك الشهير ١٩٩٨م)، وبرامج وغرف المحادثات التي تقترب منه، وتعتمد لغة (الجافا).. ثم برنامج (الماسنجر الشَّهير ١٩٩٩م)، ونسخه المطوَّرة باستمرار.

وهكذا استمرّ التنافس والتطوير، وضمّ هذه الخدمة للخدمات الأخرى من قبل الشَّركات الكبرى، وهكذا حققت هذه الحقبة مُنجزًا نوعيًّا للتَّواصل، ولبيئة التّواصل الإلكتروني، ومن وِجهة نظري كانت هذه اللّبنة الثانية في التَّواصل الاجتماعي.

٦- الخدمات المتنوعة:

أقصد بها محاولة ضمّ أكبر عدد من الخدمات التي يحتاج إليها المستخدم للوصول للمعلومة، والبيانات التي يريد الوصول إليها. ولتحقيق التَّواصل الذي يرغب ضُمَّ ذلك كلُّه في بيئة واحدة. ومن أبرز الخدمات التي تمَّ ضمُّها لبعضها بعضًا أيًّا كانت بيئة الضَّمِّ موقعًا أو متصفِّحًا أو خدمةً وتطبيقاتٍ:

محركات البحث، الأدلة، الأخبار، خدمات الإيميل المتنوعة، البرامج الأساسية، برامج الشّات، اختيارات المستخدم، واحتياجاته من التطبيقات. وهذه الحقبة ساعدت على توفير وقت المستخدم للوصول للمعلومات بشكل أسرع وأدقّ، ولإتاحة التَّواصل وخدماته بالتزامن.

٧- التَّدوين (التَّواصل بحسب تصنيف المواد المنشورة):

باستخدام كلِّ التَّقْنيات السَّابقة في التَّواصل وتحقيق المتعة والمرح والفائدة وإدمان الاستخدام، بَدَتْ الحاجةُ ملحةً إلى مواكبة طموحات

المستخدم وثقافته، فقد كان مستخدِمًا، بل مستَقبِلاً بسيطًا، والآن يشعر بحاجته إلى إبداء الرأي، وإظهار الذَّات، والمشاركة أيًّا كان نوعها، ومادتها: نصّ أو صورة أو فيديو، أو رأي مباشر أو جمعي.

لذا تطوَّر الإنترنت، وبدأت مرحلة التَّفاعلية ليكون المستخدم مُستقبِلاً ومُرسِلاً بأوسع نطاق، فظهرت بيئات متنوعة للمستخدم بحسب صورة ومادة المحتوى الذي يريد مشاركته مع الآخرين.

وبدأت المدونات النَّصية ومعارض الصور ومُدَوَّنات ومعارض الفيديو، حتَّى وصلنا للعملاق (يوتيوب ٢٠٠٥م، وبلوقر وفلكر) .. وغيرها، لتحقيق تواصل بحسب المادة في بيئة واحدة، وهي إرهاص لما بعدها.

٨- الشبكات الاجتماعية:

زاد مستخدمو (الإنترنت)، وزادت كميَّة المعلومات والبيانات المتداولة بشكل كبير، وتطوَّرت الأجهزة والبرامج والتَّطبيقات والخدمات، وظهر عصر (الوِيب ٢,٠، عام ٢٠٠٣) وما بعده، وأصبح سلوك المستخدمين على الإنترنت مؤثراً في توجه الشَّركات التي لا تعدّه العُمْلةَ الرَّابحة فقط، بل العملة الوحيدة!

ومع ظهور هذا العصر، وما قبله ١٩٩٥م، ظهر ما اصطلح على تسميته بالشبكات الاجتماعية، وكتب لبعضها النجاح، مثل (فيس بوك ٢٠٠٤م، وتويتر ٢٠٠٦م، وقوقل بلس ٢٠١١م)، وأخيرًا الشبكة الاجتماعية الخاصَّة بمايكروسوفت، التي أتوقع أن تقدِّم ميزةً جديدة.. وقد لاحظنا السِّرَّ في كلِّ المشروعات السَّابقة منذ السَّبعينيات، حتَّى عصرنا هذا وما بعده، ألا وهو (التواصل).

نعم، التواصل بين الإنسان والإنسان، فهيَّأت له بيئةً لإثبات ذاته، وكسب علاقات ومعلومات أكبر وأكثر، لتحقيق المتعة والمرح والفائدة، ولمآرب أخرى.. وظهرت قوَّة من أثر بناء هذه العلاقات للتعبير عن الرأي، وإحداث حرَاك تجاه قضية ما، وربما أكبر من ذلك.

وحرصت على تقديم الخدمات المتنوعة المستقلَّة في بداية الأمر، كمعارض الصور والفيديو، والأخبار، والشَّات بأنواعه، والمراسلات الفورية وغير الفورية، وخدمات وتطبيقات كثيرة. واستوعبت المستخدم الفردَ والمستخدم المؤسسةَ، والمستخدم الأحزابَ، والتكتلاتِ، والتَّجمعات، وَسَعَتْ للرَّبط بينها وبين المواقع القويّة، التي ربما تصرف المستخدم عنها بعض الوقت!

كلٌّ ذلك داخلٌ في نظرية (بيئة التواصل).

٩- الخدمات المتكاملة:

مع طغيان الشبكات الاجتماعية على فكر المستخدم وذوقه، حتَّى أصبحت جزءًا من حياته، بل فرضت عليه نمطًا خاصًّا بحسب توجهاتها وهويتها، إلاَّ أنَّ هناك من العمالقة مَن يحاول بلعَ الشَّبكات، كما بلع غيرها.

وربما حاول مرارًا أن يستحوذ عليها، كما استحوذ على كل المشروعات التي بدا صلاحها، وظهرت كالفَقْمة الممتلئة نشاطًا وحيوية أمام القرش العظيم.
فأفلحت الشَّركات في بعض دون بعض، وبدا أن الشَّبكات الاجتماعية أكبر من أن تُبْتَلَع، فما الحلّ؟

الحلّ: هو ذات الحلّ، عندما تشتت المستخدم بين الخدمات المتفرقة، والآن لا بدَّ من خدمات متكاملة بحسب رغبات المستخدم!

وها هو العملاق (قوقل) يطلق خدمة (قوقل بلس ٢٠١١م)، وكأنه بهذا يُعلن للمستخدم عن بيئة متنوعة ومتكاملة للمستخدم، وقدرته اللامحدودة لإرضاء سلوك المستخدم ورغبته! حتَّى يستغني عن كلٍّ ما سواه!

١٠- الهواتف الذَّكية وتطبيقات التَّواصل المتنوعة:

يبدو أن نَهَم المستخدم أذكى بكثير ممَّا يعتقده العمالقة المتنافسون عليه. ولو فُرِضَ أن تنافس أمهر الطَّباخين في إعداد الوجبة التي تناسب سلوك الإنسان الأكول، الذي كان يقول لهم دائمًا: (هل من مزيد؟)، ثم وَضَعَ كلُّ طباخ طبختَه على مائدة واحدة، لظهر لهذا الإنسان الأكول سلوكٌ جديدٌ لم يُشاهَد من قبل!

وهكذا بعد تقديم الخدمات المتكاملة والشَّبكات الاجتماعية، رَغِبَ المستخدمُ أن يكون ذلك سهلاً وسَلِسًا وممتعًا ومرافقًا له في كل مكان! بحيث يجمع الإنسان نفسَه من بيئتين كانتا متفرقتين كان يعيشهما، الواقعية والافتراضية. وها هو بعد الهواتف الذكية وتطبيقات التَّواصل الاجتماعي عليها يدمج، ويمزج بيئتين طالما كانتا متنافرتين، وإذا بهما يجتمعان اليوم. وهذا هو الأصل في عموم المستخدمين، إلاَّ من أراد أن يكون مُتَلَوِّنًا، يعيش بشخصيتين ووجهَين ومُسْتَخْدِمَين!

فظهرت الهواتف الذَّكية التي كانت من قبل، لكن ظهورها الآن بتطبيقات جديدة وممتعة، وتحمل كلَّ الخصائص المميزة لما سبقها، وهي متجددة ومتنوِّعة ما اضطر (عَمْلقاتي) إلى أن تلاطف هذه الذَّكية، وتقدِّم لها تطبيقات مجانية، لعلَّها تظفر بأُصْبع المستخدم الذَّكي، بل الأذكى دائمًا!

نعم، بأصبع واحدة، لأنه ملَّ من استخدام أصابعه العشرة ويديه الاثنتين، أو: ملَّ من استخدام أصابع ثلاث من يد، وأصبعين من اليد الثَّانية -مثل صاحبكم- وقد نجحت (آبل) و (سامسونج) ومن نحا نحوهما في التَّعامل مع هذه الرَّغبة، ونجحت الهواتف الذَّكية في توفير بيئة سهلة ومستمرة ومتجددة وممتعة للتواصل بين الإنسان والإنسان، وبتطبيقات متزايدة.

ولو صدق المتنبئون بأنّ عدد مرَّات تنزيل هذه التَّطبيقات سيبلغ ٩٨ مليارَ مرَّة من قبل المستخدمين بحلول عام ٢٠١٥م، فإن العصرَ برمته سيكون إيقاعًا لها!

وبهذا ظهر عملاق جديد، لكنه قزمٌ هذه المرَّة! لم يكن متوقَّعًا في عالم التَّواصل، إضافةً للعمالقة السَّابقين، وانضم لها، وبدأت إرهاصات عصر جديد لصديقتنا (عَمْلقاتي!!).

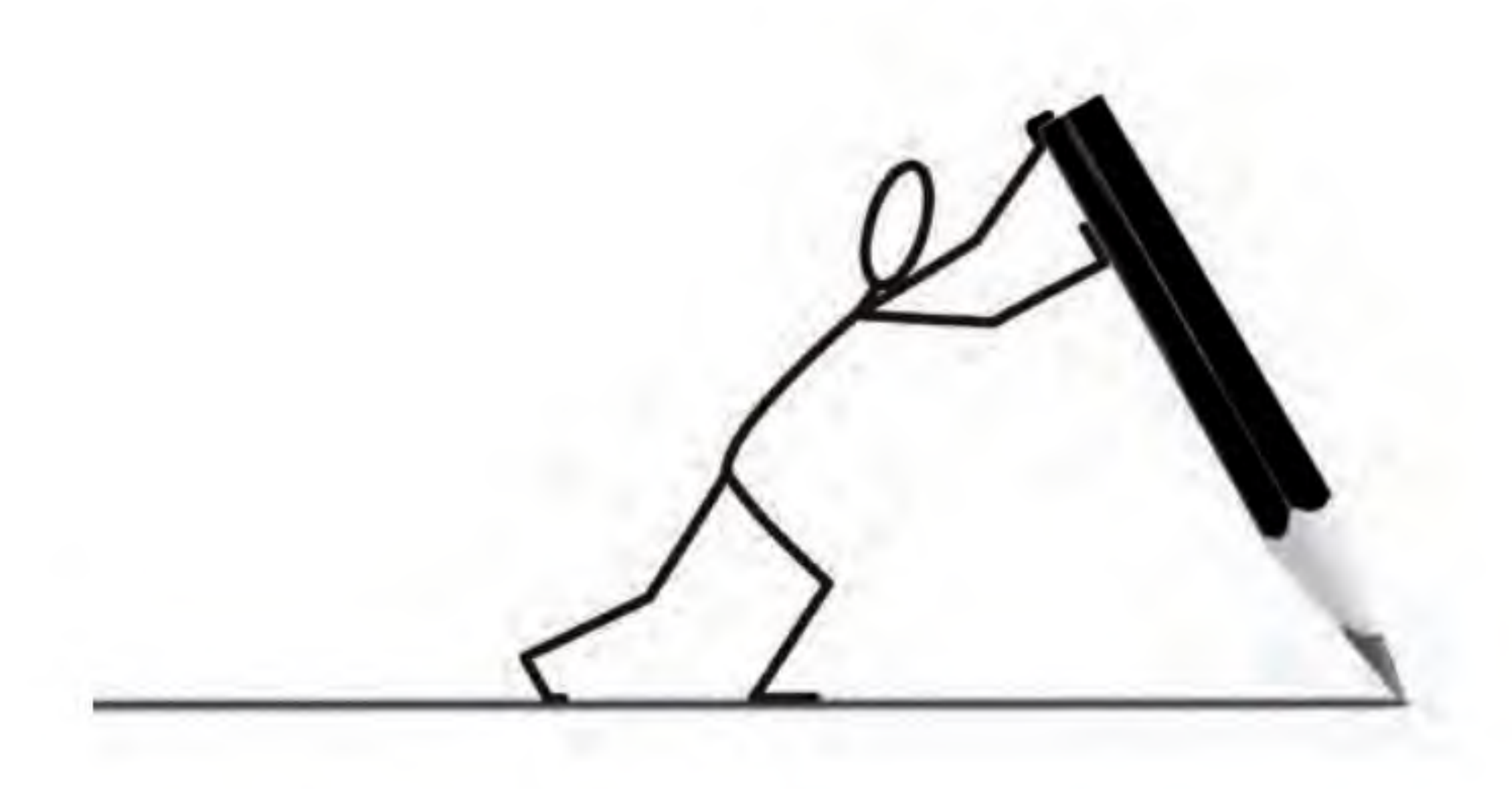
١١- ماذا بعد تويتر وفيس بوك؟!

لا أدري. نعم، لا أدري، ما الغضاضة في ذلك؟
لا أدري.. أو: أدري، ولا أريد أن أقول. أريد أن أستثمر أفكاري! أريد أن تستثمرني أفكاري! يكفيني أني فكرت - وما زلت أفكر - كيف أقشر الموز! يكفيني أنَّي ما زلتُ أبحث عن (فُضُولي)، يكفيني أنَّي وصلت بالتفكير لهذه النُّقطة، وعلى القادر أن يكمل.

أو تعبت من التفكير.. ووصلت لمرحلة (الفسترة)، التي قلتُ لكم: إنها مرحلة بين الفلسفة والهسترة.

لا محاضن ولا معامل للأفكار في المحيط العربي، وليس هناك رغبة في تبني العقول، إلاَّ إن أظهر الآخر حفاوَته بها!.. لا أدري، ولا المُنَجِّمُ يدري! لمَ لا تفكِّر أنتَ هذه المرَّة؟ لعلَّ الحظَّ يكون حليفك!

توقَّع .. خَمِّن .. تَخَيَّل .. تَفَلْسَف .. تَأَمَّل .. أو: تساءل تساؤلاتٍ مشروعة، مثل تساؤلي: ماذا بعد تويتر وفيس بوك؟



لكنني بعد هذا العرض السَّريع للتَّسلسل التَّاريخي والبُعد الزَّمني لتقنيات التَّواصل الإلكتروني، أستطيع أن أبَلْوِرَ وعيي بالفكرة للمبصرين والمستبصرين، فأقول:

بدأ الموضوع من حاجة بعض الناس إلى حلول معيَّنة، ثم انتقلَ وتشكَّل في رؤية أوَّليَّة ومحدَّدَة، تمَّ إخضاعها للتجربة، بل لتجارب

عدَّة، ثم تطوَّرت هذه الرؤية، وتمثلت في أهداف ورؤى متوسطة ومركَّبة، أنتجت تقنيات وأدوات، وشكَّلت ثقافات وبيئات متكاملةً، لتصبح في نهاية المطاف رؤيةً متكاملةً، أو في طورها للتَّكامل! ابتدأ هذا التشكّل من عالم الأفكار، وانتقل لعالم الأشخاص والعلاقات، وشمل الأشياء لتصبح هذه العوالم في هذا الإطار، وبهذه الرؤى نَمَطًا حياتيًّا وعُرْفًا سائدًا حاكمًا على رُؤى وعوالم أخرى، وسريانها وانتشارها الجغرافي صَيَّرها مؤثرةً فاعلةً في التّاريخ، وهذا ما يسمِّيه بعض الناس، وأسميه بـ (إيقاع العصر)، وقد جمعت - ولله الحمد- ودَوَّنت بعضَ إيقاعات عصرنا، وأتمنى أن ترى النُّور قريبًا في كتاب.





(عَمْلقاتي)، مصطلح خاصٌّ أطلقته على عمالقة الإنترنت، وهو اسم رمزي يرتبط به مفاهيم عدة، تساعدنا على اختصار الوقت في الوعي بكل قديم وجديد في هذا الباب، وتــوجه جهودنا لما هو أنفع من التسويق للسيدة (عَمْلقاتي)، والجدل في حالها ومآلها.

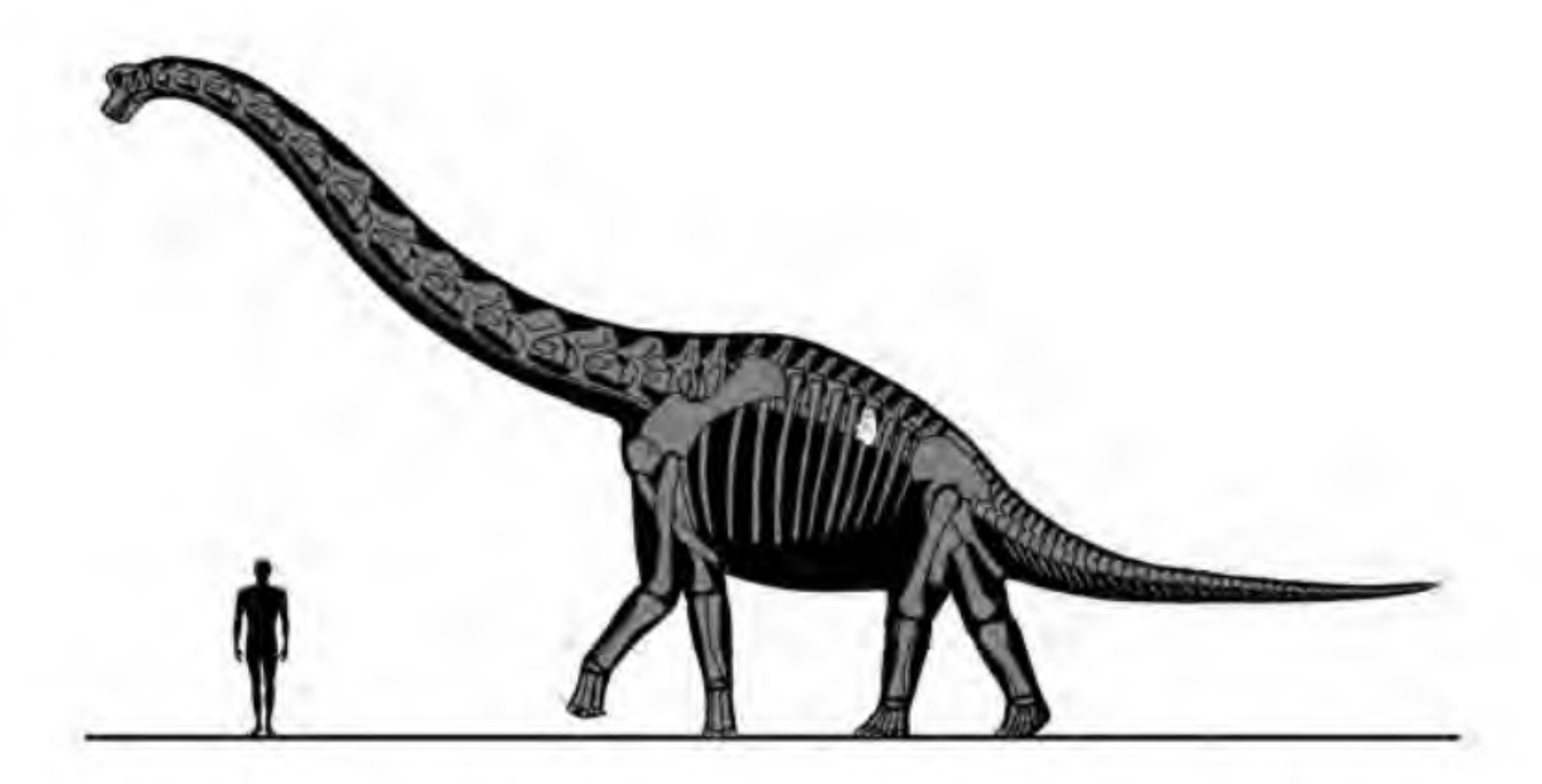
عَمْلقاتي!

هذه أخت (عنقاء)، وربيبة (النَمْنَم)، وعدوةُ (الفَقْمَة)، وآكِلَة (الثور الأبيض)، على الرغم من بياضها! عجماء ناطقة، ليس لها نَفْسٌ سائلة، ولكنها تسري سَريان الدَّم في العُروق، عيناها زرقاوان، مُقْتاتةٌ على النَّفيس والخسيس، لكن بطريقةٍ جِدٌّ لَبِقة، تأكلُ وتشربُ وترقصُ وتغني، وتعيش على قلوب مستخدمي الإنترنت وعقولهم، واسمها مُرَكَّب ثنائي من كلمتين: (عملاق) و(آي تي) اختصار لتِقَني، مجموعةٌ في قولنا (عَمْلقاتي)، ويقصدُ بها بعض المتصدرات لـ (أليكسا!) نعم، (أليكسا)[1] عند الغرب، التي تعدل (إليسا) عند بعض العرب! ومن أمثلة (عَمْلقاتي) ياسادة:

- قوقل.
- فيس بوك.
- يوتيوب.
- ويندوز لايف.
- تويتر.

---

(١) http://www.alexa.com



أعرف تقديركم وتقديري لصديقتنا (عَمْلقاتي)، وأنا أحبُّها مثلَ حبِّكم أو أشدّ، أو أننا في الحبِّ منازل. كيف، وقد عرفنا بها أشياء لم نكن نعرفها من قبل، وجمعت لنا المحبين بعد فراقهم، واحتضنت ذكرياتنا بعد شَتاتها، وصنعت لنا منابرَ بعد أن سَكَنَّا المقابر، وسمعتْ لنا بعد أن صُمَّت آذان، حتى ظننا أنها مستودعُ أسرارنا، وصندوقُ سرائرنا، فحمّلناها ما تطيق وما لا تطيق، وما يقال وما لا يقال. وبعد مدة من الزَّمن عرفنا منها وأنكرنا، وأقبلنا وأدبرنا، ولكنه الحبُّ لا يرويه إلاَّ الوصل و(التواصل!). نعم، نحبها، وعينُ الرِّضا عن كلِّ عَيبٍ كليلةٌ، والحبُّ يُعمي ويُصِمّ! أحببناها؛ لقدرتها على التَّلَوُّن والتكيف مع المحبِّ، وإشباع نَهَمِه، وصارت لبعضنا بَوحًا، وللآخر دَوحًا، وللناظرين وَجهًا مليحاً.. ولكن قَدَر الحبِّ أن يبقى حُبًّا! وأن يستمتع به طرفان، ويشقى به طرفٌ واحد، وقد تنفكُّ الأواصرُ، ويصير المحبُّون لما هو صائر، وتَسْتَبْدِل (عَمْلقاتي) بنا خَلقًا آخر، وقد تُفشي لنا سِرًّا ، وتهتكُ لنا سِترًا، وتأكلنا يومَ تأكل الثَّورَ الأبيضَ، وتستحوذ علينا، ثم تَكِلُنا إلى غيرها.



ولكن هيهات للمحبِّ أن يبصرَ بعد أن أعماه الهوى، أو أن يتبَصَّر، ويتفكَّر ويفكر، ويتساءل بعد أن أضرَّ به الجهل. حالنا معها يا سادة ومقالنا، كحال كُثيِّر عزَّة – الشاعر المشهور – مع عزَته تمامًا:

خليليَّ هذا رَبْـعُ عَزَّةَ فَاعْقِلا قَلُوصَيكُما ثمّ ابكيا حيثُ حلَّتِ

ومُسَّا ترابًا كَانَ قَدْ مَسَّ جِلدَها وبِيتا وَظَلاَّ حَيْثُ باتتْ وظلَّتِ

وما كنتُ أدري قبلَ عَزَّةَ ما البُكا ولا مُوجِعَاتِ القَلبِ حتَّى تَوَلَّت!

وكانت لقَطْعِ الحَبل بيني وبينها كناذرةٍ نَـذْرًا فأوفَتْ وحلَّتِ

يُكلّفُها الخنزِيرُ شَتْمِي وَمَا بِهَا هَوَاني ولكنْ للمَليكِ استزَلَّتِ

هنيئًا مَريئًا غيرَ داءٍ مُخامرٍ لعَزَّةَ من أعراضنا ما استحلَّتِ

وَواللهِ ما قَارَبتُ إلاّ تباعدَتْ بِصَرمٍ ولا أكثرتُ إلاّ أقلَّتِ

وكنّا سَلَكْنا في صُعودٍ من الهَوَى فلمّا توافينا ثَبَتُّ وزلَّتِ

وكنّا عقدنا عُقدة الوَصلِ بيننا فلمّا تواثقنا شَددتُ وحلَّتِ

وإنّي وإنْ صَدَّتْ لمُثْنٍ وَصَادِقٌ ... عليها بما كانتْ إلينا أزلَّتِ

فما أنا بالدّاعي لعَزَّةَ بالرَّدى ... ولا شَامتٍ إن نَعْلُ عَزَّةَ زلَّتِ

وحلَّتْ بأعلى شاهِقٍ من فؤادِهِ ... فلا القلبُ يَسْلاها ولا النّفسُ ملَّتِ

وإني وَتَهْيامي بِعَزَّة بعْد ما ... تخلّيتُ مِمّا بيْننا وتخلَّتِ

لَكَالمُرتجي ظِلَّ الغمامةِ كُلَّما ... تبوَّأ منها للمَقيلِ اضمحلَّتِ

كأنّي وإيّاها سَحابة مُمْحَلٍ ... رَجَاها فَلَمّا جَاوَزَتْهُ استَهَلَّتِ





والذي أرمي إليه يا سادة، أن (عَمْلقاتي) ليست (بشرًا ممّن خَلَق)، ولو كانت بشرًا مَحضًا لما كانت بأحسن حالاً من عزّة مع كُثيّرها، فلا نضجر من إفشاء الأسرار، وهتك الأستار.. والمتاجرة بالمعلومات والبيانات، فهذه ضريبة الحبّ غير الواعي والإلف للسَّيِّدة (عَمْلقاتي)، بل لا نفكر في الهَجر والقطيعة المطلقة، ولا نظن أنَّ إيذاء المحبّ لحبيبه مثل الكيّ (آخر العلاج)، بل العكس كما يقال: (ضرب الحبيب مثل أكل الزبيب!!).



من هنا يأتي الكسب والمتاجرة والاستثمار! من المعلومة! من المعلومة البسيطة من المستخدم البسيط، ومن الجمهور العريض، الذي يُدْلي بها، وهو يلهو ويلعب، أو يُدَرْدِش ويُحَاوِر، أو يُدَوِّن ويُشارك، أو يُعَلِّق ويُصَوِّت، ويعبر عن رأيه وذوقه بأصبعٍ واحدة!!

اقتصاد التواصل أم تواصل الاقتصاد؟

لو سألتك أيها المستخدِم الكريم: هل تعرفُ كيف تكسب (عَمْلقاتي) المال؟ وهل هناك أرباح من وراء تقديم الخدمات المجانية للجمهور العريض من المستخدمين على طول العالم وعرضه؟ وعلى ماذا هذه التنافسية الكبيرة في هذا المجال؟

هل الاقتصاد المعرفي له ارتباطٌ بموضوعنا هذا؟ أيُّها أجدى وأولى: الاستثمار في المعرفة بوصفها مادة؟ أم في المعرفة بوصفها أدوات؟ أم في المعرفة بوصفها أفكارًا؟!

هل فكرة التواصل الإلكتروني تُدِرُّ أموالاً، وتموِّل أجيالاً؟!

هل من تنافسية حقيقية؟ هل من صراعٍ بين الشرق والغرب في هذا المجال؟ بل هل من صراعٍ بين المطوِّرين والمنتجين في الغرب نفسه؟ وعلى ماذا الصِّراع؟ وفيمَ التنافس؟ وكيف يتحول الفضاء الإلكتروني إلى سندات وأصول مالية ضخمة؟!

هل سألتَ مرَّةً (عَمْلقاتي) – وما تقدمه لك من خدمات جليلة ومتنوعة ومتجددة بالمجان –: كيف تكسبين المال؟ ومن أين؟ وقلتَ لها كما قلتَ لغيرها: من أين لك هذا؟!

ما السِّرُّ في الثَّراء الفاحش لـ (عَمْلقاتي)؟ وما خلطتها السِّريّة لجني الأرباح؟ وما نسبة مصروفاتها مقابل إيراداتها؟

كيف تتربع (عملاقاتي) على العرش الاقتصادي دون المرور على السَّلالم الكلاسيكية؟ كيف تتحوَّل نزوةُ شابٍ في جامعة أمريكية إلى فكرةٍ وشركةٍ عابرة للقارات؟!

هل نحن في عصر الاقتصاد الإلكتروني – اقتصاد واستثمار التواصل الاجتماعي – ؟ أم أنّ المسألة لا تَعْدُو أن تكون مرحلةً زمنيةً طَبَعيةً يمرُّ بها العالم في اقتصاد متواصل ومستمر؟

إذا لم تكن تعرف، أو تسأل، أو تتساءل فتلك مصيبةٌ .. وإن كنتَ لا ترى حاجةً لذلك فالمصيبةُ أعظم.

أمَا قلتُ لك كُنْ (فُضُوليًّا) في المعرفة! وكُن (ميتافيزيقيًّا) في عالم المادة والتَّقْنية!

هذه المرَّة أقول لك: كن كبقية الناس، كن فُضُوليًّا ميتافيزيقيًّا في المال.

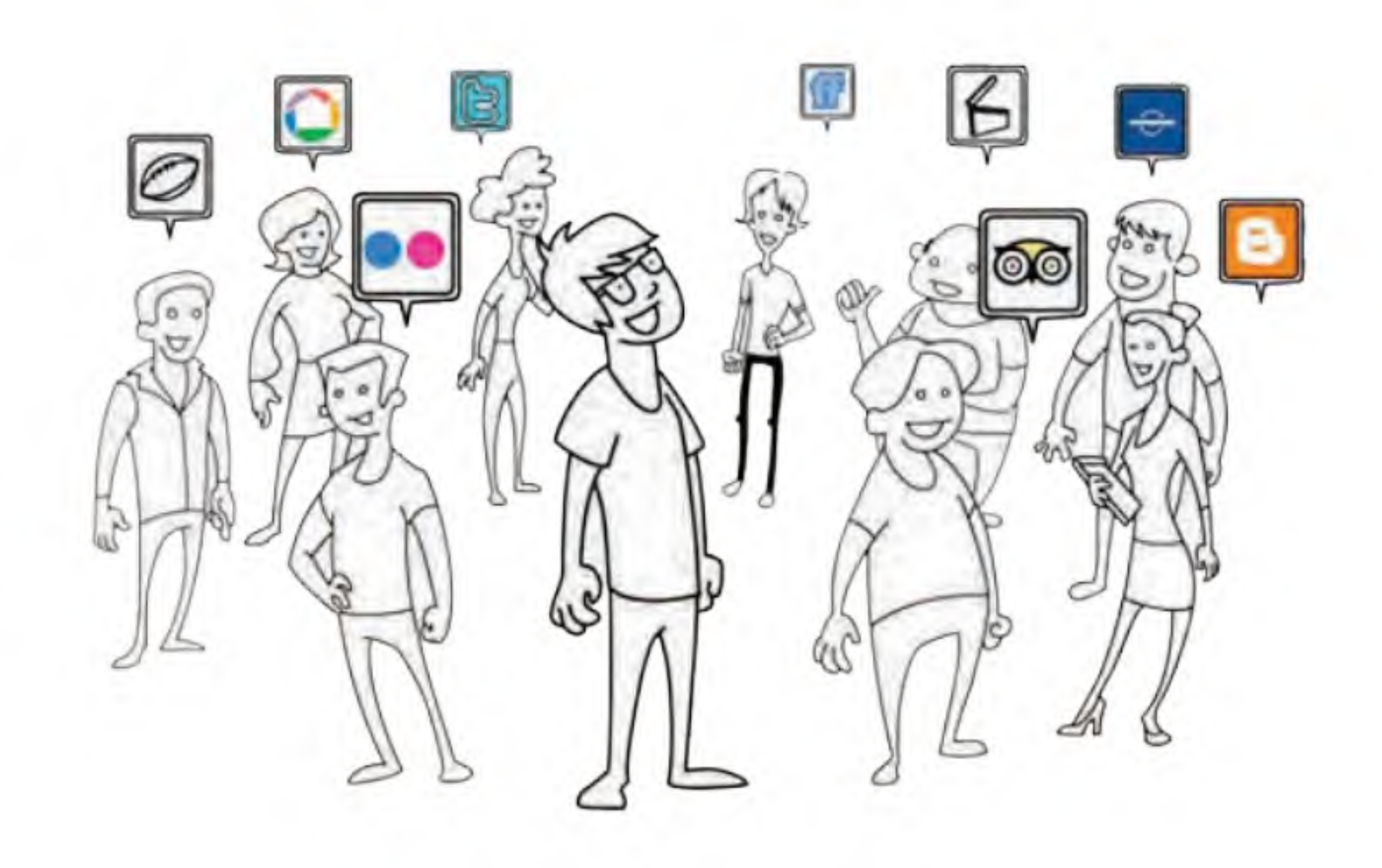
قد تقول: ولماذا هذا الإصرار؟!

فأجيبك باختصار:
إنّ الأمَّة إذا لم يكن فيها من يقوم بالفرض في الفُضُول الاقتصادي التَّقْني والمعرفي، فسيحكم على مجموعها بالشَّحاذة الرَّقمية، والجهالة المعرفية!

دعنا من هذا ..

اسمحْ لي أن أسألك سؤالاً آخر:
كيف تعرف (عَمْلقاتي) ما نريد؟!
كيف تتنبأ (عَمْلقاتي) بما سنريد!
كلَّما حلمنا بشيء سارعتْ بتقديمه لنا على طبق من ذهب!
تتودَّد إلينا، ولا تَمُنُّ علينا!...
نعاملها بسوء الاستخدام، وتعاملنا بأيقونات أسهل، وتقنيات أبهر!

ما أروعَ (عَمْلقاتي)!!
لكنها في الوقت ذاته تبعث على الحيرة: تكسب وتكسب، وتربح وتربح، وتتصرف تصرفات الإقطاعي القديم - تملك البلاد والعباد -!
أليس كذلك؟!
أم أنني واهمٌ يا سادة؟



كلُّ هذه الأسئلة وغيرها، لها إجابات وإجابات، ولكن لديك أنت فقط أيها المستخدم الحرُّ.

ولا تظنّ أنّ قلمي هذا سيقدِّم لك شيئًا حولها، بل كلَّما زادت تساؤلاتك أيقنتَ أن تأمُّلاتي هذه لم تقدم لك شيئًا! وكلَّما أفصحتَ عن جوعك المعرفي تَخَليتَ عن الكبسولات المعرفية المتناثرة هنا وهناك.

طبعًا.. أنت الذي يفكِّر، وأنت الذي يهتم، وأنت مَن يريد أن يفهم، وأنت مَن يعَشَقُ (عَمْلقاتي) ، ومن يصطلي بنار هواها. أمَّا أنا فقد سألتُ، وتساءلتُ، وأجبتُ نفسي، وتأمَّلتُ وسطَّرتُ تأمُّلاتي هذه، بل ما زِلْتُ أتأمَّل.

جرِّبْ، واسأل وابحث عن جوابٍ لسؤالك بنفسك، أو بالأحرى تساءل وتأمَّل!

اسأل أيها المستخدم الكريم، ولا تتردد، ولا تخجل، ولا تعجل. اسأل، فكثيرٌ من الناس يعتقد أن (عَمْلقاتي) منظمة لا ربحية، أو هيئةٌ خيرية، وخاصَّةً عندما يقرأ طلبًا للدَّعم والتَّمويل من مثل مؤسس ويكيبيديا!

هل خدمات (عَمْلقاتي) بالمجان؟ وعلى الدَّوام؟

قد يقول قائل: نعم .. ويؤكد بأن يقول: بل على الرغم من طول علاقتي بها، فإنها لم تأخذْ، ولن تأخذ ريالاً واحدًا!

(عَمْلقاتي) يا سادة، بالفعل تمنحنا علاقة دافئة، ويعيش معها بعضنا أكثرَ ممَّا يعيش مع أمِّه وأبيه وزوجِه وأبنائه، لكن لا بُدَّ أن أهمس في أذنيك، وأقول: هي ذكيةٌ جِدُّ ذكية، بل إنّ ذكاءها ممزوج بدهاء، وولع ونهم، وعندها علاقة خاصَّة وحَميميةٌ مع أباطرة عصرها من الأحلاف الدَّولية والدُّول الكبرى والمنظمات العابرة للقارات والشركات متعددة الجنسية، بحيث تقدِّم لهم خدمات جليلة وحصرية، قائمة على المعلومة الدَّقيقة التي في ظنّي لم يكتشفها أحدٌ قبل الشَّبكات الاجتماعية تحديدًا. المعلومة الدَّقيقة المفردة والمركبة، كما ذكرتُ ذلك في نظرية (بيئة التواصل)، التي هي أثمن من الدِّراسات الأكاديمية القائمة على الإحصاء، والمعتمدة في الغالب

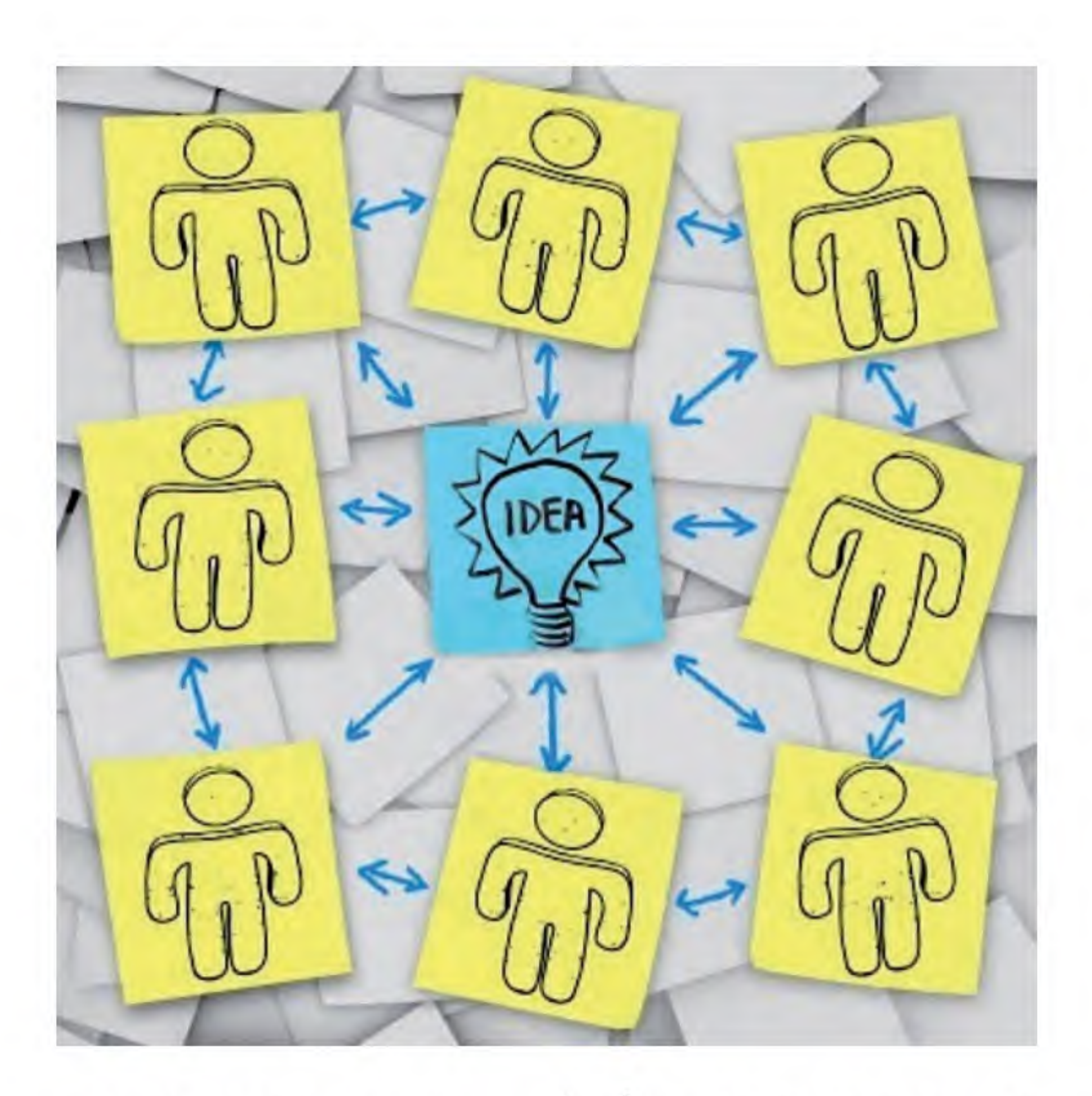
على شريحة العَيّنة الممثلة لبقية الشَّرائح؛ إذ المعلومات التي تُضَخّ عبر الشَّبكات الاجتماعية تتميَّز بأمور عدَّة، منها: المصداقية في البيانات، وقد كان الناس يتخفَون عبر أسماء مستعارة، فلما جاءت الشَّبكات الاجتماعية أصبح التخفي حَماقة! إذ كيف تكتب وتشارك أفكارك وصورك وعلاقاتك بشخصية وهمية!

ومنها: شبكة العلاقات، فلو أردتُ الآن تحليلَ توجهات أحد المستخدمين للشَّبكات الاجتماعية أو جماعة من المستخدمين، والكشف عن ميولهم لاستطعتُ ذلك بكل سهولة، فما بالكم بالشركة المؤتمنة على هذه البيانات!

لذا، فإن كلَّ مَن ذكرتُ آنفًا - من الأحلاف الدَّولية والدُّول الكبرى والمنظمات العابرة للقارات والشركات متعددة الجنسية - مستعدٌّ لدفع أموال طائلة، بل تمويل ضخم ومستمر لضمان مَورد ثابت ومستمر ومحبوب للمعلومات عن الأفراد والجماعات والمجتمعات!

وذلك كلُّه على سبيل الأمر والإلزام، أو تبادل المنافع، أو أيِّ شيء آخر!

وأنا أفترض أنَّ هذا مَوردٌ أساس لثراء (عَمْلقاتي)، عدا مَوْرِد الدِّعاية والإعلان، والخدمات الإضافية، والاستثمار في سوق الأسهم القائم على السُّمعة، عدا القيمة السُّوقية للاسم والعلامة التجارية وما يلحق بها.



المهم، كما تقول العامَّة: (اللهْ يِهَنِّي سَعيدْ بِسَعِيدَه)، لكن لماذا نكون دائمًا (سَعيدة)؟!

وبالجملة أقول: إنّ إيقاع عصر الزّراعة، وبيع المحصول قد ولَّى!

وإنَّ إيقاع عصر الصِّناعة، وتبادل السِّلع قد أدبر!

وقَوْلي (ولَّى، وأدبر) راجع للإيقاع، وليس للزِّراعة والصِّناعة!

وجاء إيقاع عصر تقنية المعلومات، الذي مسح من الأذهان كلَّ كسبٍ تقليدي على الرغم من وجوده!

ومِن تأمُّلاتي، بدا لي أن (عَمْلقاتي) تقوم على خدمة أساسية منافسة في أوَّل أمرها، وخدمات أخرى إضافية تُقدَّم ليس بالمجان، وإنَّما من دون مقابل ظاهر للعيان!

وفرقٌ بين الاثنين!

ثم تسعى (عَمْلقاتي) للانتشار والتوسُّع والاستقطاب، بل ربما تقاتل لأَجل الاستحواذ على أكبر عدد من المستخدمين! وكلّ الخدمات أو جلّها (من دون مقابل ظاهر)، ثم إذا ارتقت هذه الخدمات وحقَّقت الانتشارَ المَرجُوَّ منها محليًّا ثم دَوليًّا، بل أصبحت عابرةً للقارات، فإن واحدةً من (عَمْلقاتي) تصبح بمنزلة منظمة دَولية مستعدة للتَّفاوض والتَّواصل والتَّثاقف مع الشَّريحة الغائبة عن الأَحلاف الدَّولية والدُّول الكبرى والمنظمات الإنسانية ومنظمات هيئة الأمم المتحدة، وهم الجمهور البسيط والشعوب المتناثرة! وهذه قوّة خفيَّة حقيقية مؤثِّرة، ولا تحتاج إلى أمثلة بعد الرَّبيع العربي!!

من هنا: يأتي الكسب والمتاجرة والاستثمار من المعلومة! من المعلومة البسيطة، من المستخدم البسيط، ومن الجمهور العريض، الذي يُدلي بها وهو يلهو ويلعب، أو يدردش ويحاور، أو يُدَوِّن ويُشارك، أو يُعلِّق ويُصَوِّت، ويعبر عن رأيه وذوقه بأصبعٍ واحدة!

نعم، هذا هو الرِّبح الحقيقي، والكسب الذي لا يقدر بثمن عند من يعرف! والمعلومات والإحصاءات والأرقام هي التي تصنع القرار اليوم وقبل اليوم، وهي التي تُدِرُّ الأموالَ اليوم! وهي القيمة المضافة للدُّول القويّة والمسيطرة.

هذا وجهٌ لربح (عَمْلقاتي) على المستوى الإستراتيجي السِّياسي وغير السِّياسي، وهناك وجهٌ آخرُ ظاهرٌ وبراقٌ وصفيق! ألا وهو وجه الدِّعاية والإعلان والتَّسويق للمؤسسات والشركات والمنتجات أيًّا كانت، وهو قائم على المعلومة الدَّقيقة أيضًا، وعلى دراسة رغبات المستخدم، وربما غرائزه ونزواته. وهكذا شيئًا فشيئًا.. تنقلب (عَمْلقاتي) من مُقَدِّم خدمة (دون مقابل ظاهر)، إلى (بزنس عَمْلقي). أو: إلى (هامور، أو مُلتهم فقمة، أو آكل ثور أبيض)!!



وإضافةً إلى ذلك كلِّه، يمكن أنّ تقدِّم بعض الخدمات الإضافية لبعض المستخدمين الأفراد والمؤسسات مقابل أسعار رمزية، لكن لشريحة أوسع انتشارًا ولرُقعة جغرافية كبيرة، ومستعدة لأن تكون زبونًا دائمًا. نعم، فإنّ عنصر (الدَّيمومة) أهمُّ ما تصبو إليه (عَمْلقاتي)؛ لأنّ هذه الخدمات متَّى ما أصبحت جزءًا من حياة المستخدم والمجتمعات، فلن تقلق (عَمْلقاتي) على أحفادها وأحفاد أحفادها، وعلى من خلّفها ومن خَلْفَها، حتَّى لو وافتها المنية، وعاجلها القدر!!



وصل عدد مستخدمي فيس بوك الإجمالي في العالم العربي إلى ٢٧,٧١١,٥٠٣ مستخدم في (٥ إبريل٢٠١١).

وقُدِّر عددُ مستخدمي تويتر النشطين في المنطقة العربية في نهاية مارس ٢٠١١ ب ١,١٥٠,٢٩٢ مستخدم.

أليست هذه الأرقام كفيلة بتشكيل وعي عامّ تجاه قضية ما؟!

لماذا تويتر وفيس بوك؟

من أجود ما اطلعت عليه حول موضوعنا هذا تقرير بعنوان (تقرير الإعلام الاجتماعي العربي) www.ArabSocialMediaReport.com الصادر عن كلية دبي للإدارة الحكومية (مايو ٢٠١١م)، وهو مُرفق مع أيقونة (اتصل بنا)، ولعلّي أدوِّن لك أهمَّ محتويات التَّقرير ما يساعدنا على الوعي بالفكرة، وما آلت إليه:

- المبادرة التي قامت بها كلية دبي في هذا التقرير لها علاقة بموضوعات جِدُّ مهمة كَدَوْر خدمات التَّواصل الاجتماعي في الحَوكَمة، والاندماج الاجتماعي، وتشجيع ريادة الأعمال، ودور تطبيقات التَّواصل الاجتماعي في رفع مستوى التَّعاون، وإدارة المعرفة، وتعزيز الابتكار بين الكيانات الحكومية فيما بينها وبين المواطنين والقطاع الخاصّ.

- يواصل موقع فيس بوك احتلال الصدارة بوصفه أكثر أدوات التواصل الاجتماعي شُيوعًا في المنطقة العربية.

- تجاوز عدد مستخدمي فيس بوك ٦٧٧ مليون مستخدم في إبريل من العام ذاته (وجاءت منطقة الشرق الأوسط من بين المناطق التي كان لها نصيب الأسد من حيث عدد المستخدمين الجدد).

- وصل عدد مستخدمي فيس بوك الإجمالي في العالم العربي إلى ٢٧,٧١١,٥٠٣ مستخدم في ٥ إبريل ٢٠٠١م.
- زاد عدد مستخدمي فيس بوك في الوطن العربي بنسبة ٣٠٪ في الربع الأول من ٢٠١١م.
- ما زالت دول الخليج، إضافة إلى لبنان، تحتل المراكز الخمسة الأولى من حيث أعداد المستخدمين لفيس بوك، مقارنة بعدد السُّكان، وتواصل الإمارات العربية احتلال الصَّدارة في المنطقة العربية.
- ما زالت مصرُ تمتلك ربع العدد الإجمالي لمستخدمي فيس بوك في المنطقة العربية، وقد أضافت عددًا من المستخدمين الجدد في الربع الأول من عام ٢٠١١ أكثر من أي دولة عربية أخرى، وهو ما يقارب مليوني مستخدم في المدة بين ٥ يناير، و٥ إبريل ٢٠١١.
- يشكِّل الشَّباب (الذين تتراوح أعمارهم ما بين ١٥، ٢٩ عامًا) نحو ٧٠٪ من مستخدمي فيس بوك في المنطقة العربية، ولوحظ وجود زيادة طفيفة في عدد المستخدمين فوق ٣٠ عامًا منذ نهاية عام ٢٠١١.

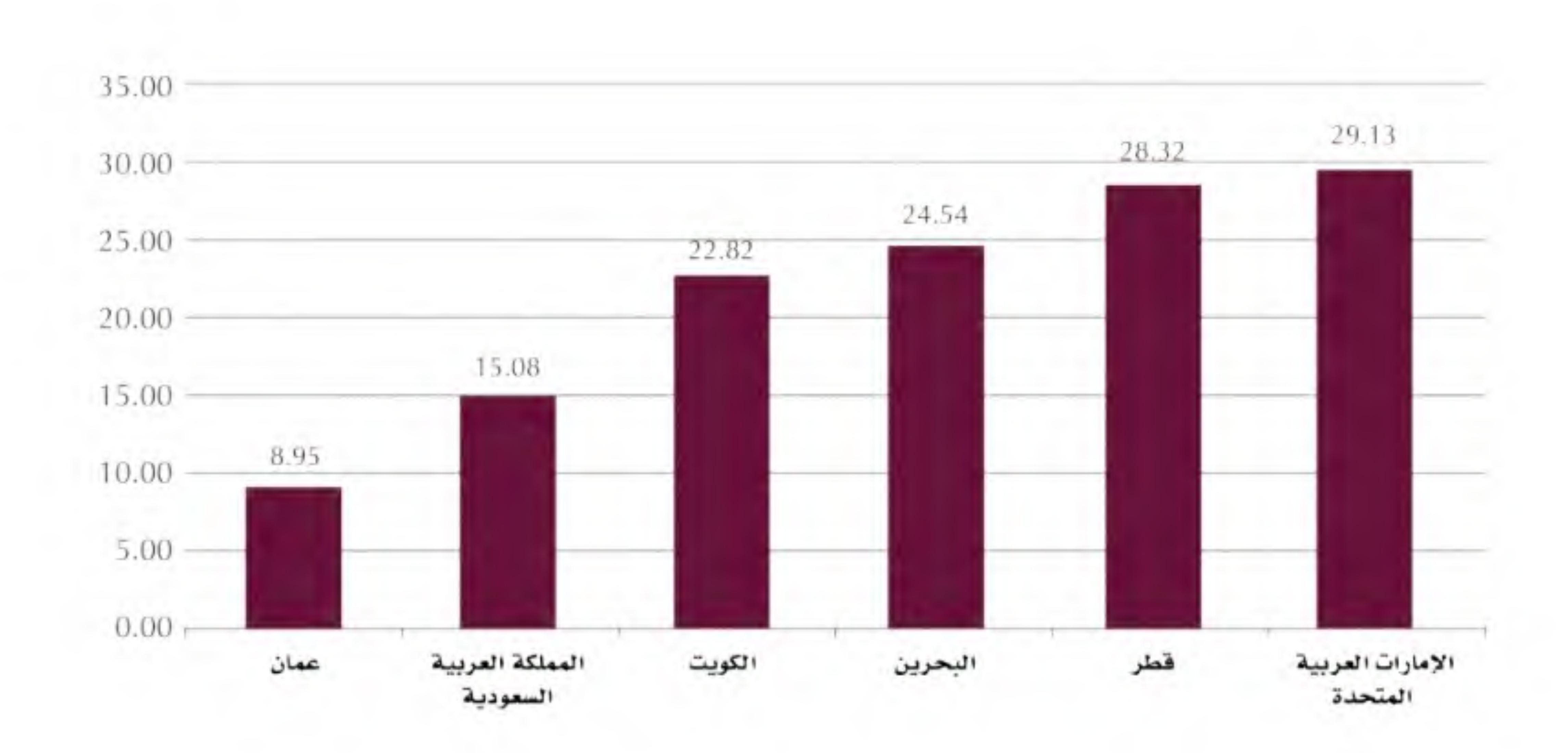
عدد مستخدمي فيس بوك، وعدد السُّكان الرَّسمي في دول الخليج:

البلد	عدد السكان	عدد مستخدمي فيس بوك	معدل انتشار فيس بوك
عمان	3,103,580	277,840	8.95
المملكة العربية السعودية	27,136,979	4,092,600	15.08
الكويت	3,484,881	795,100	22.82
البحرين	1,234,596	302,940	24.54
قطر	1,699,435	481,280	28.32
دولة الإمارات العربية المتحدة	8,260,000	2,406,120	29.13

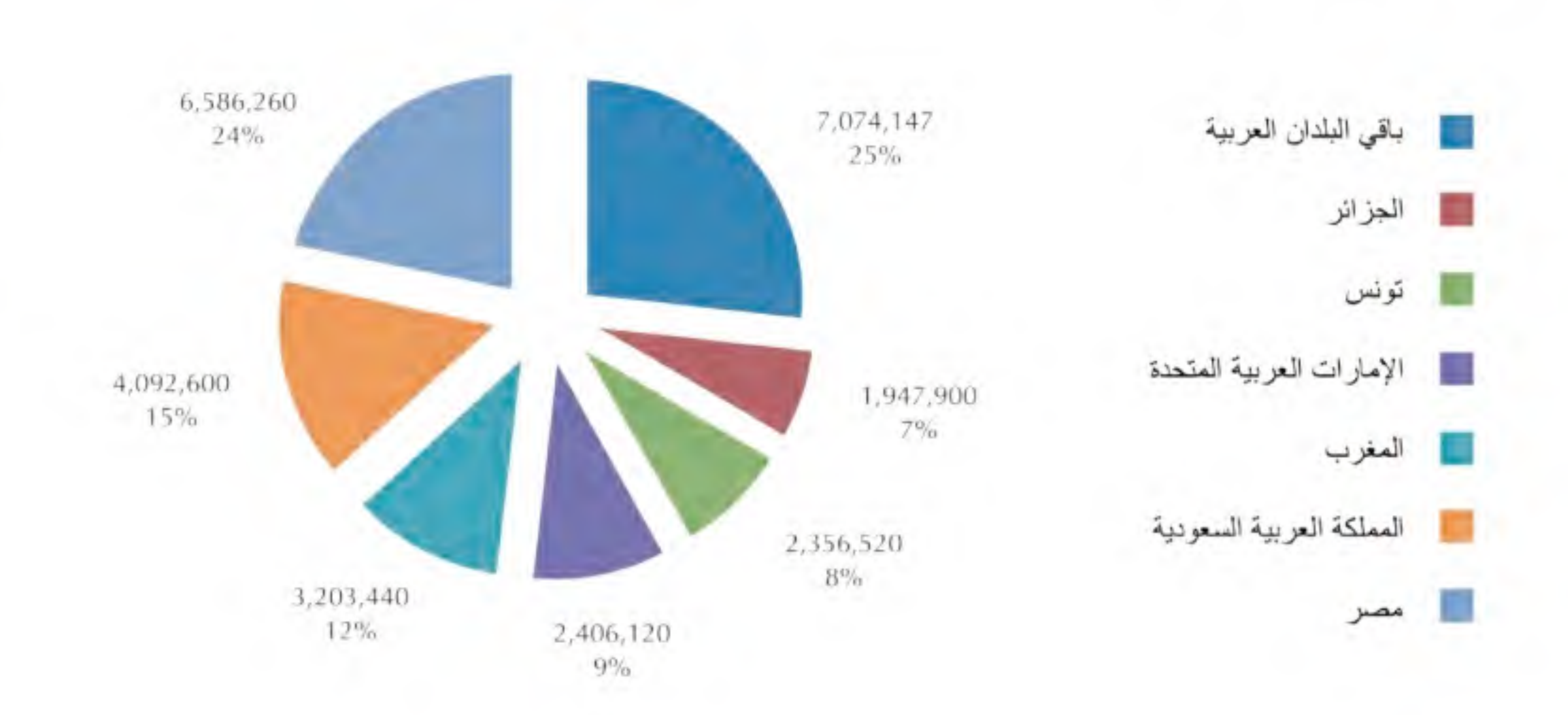
تصنيف الاستخدام الرئيس لموقع فيس بوك عام ٢٠١١:



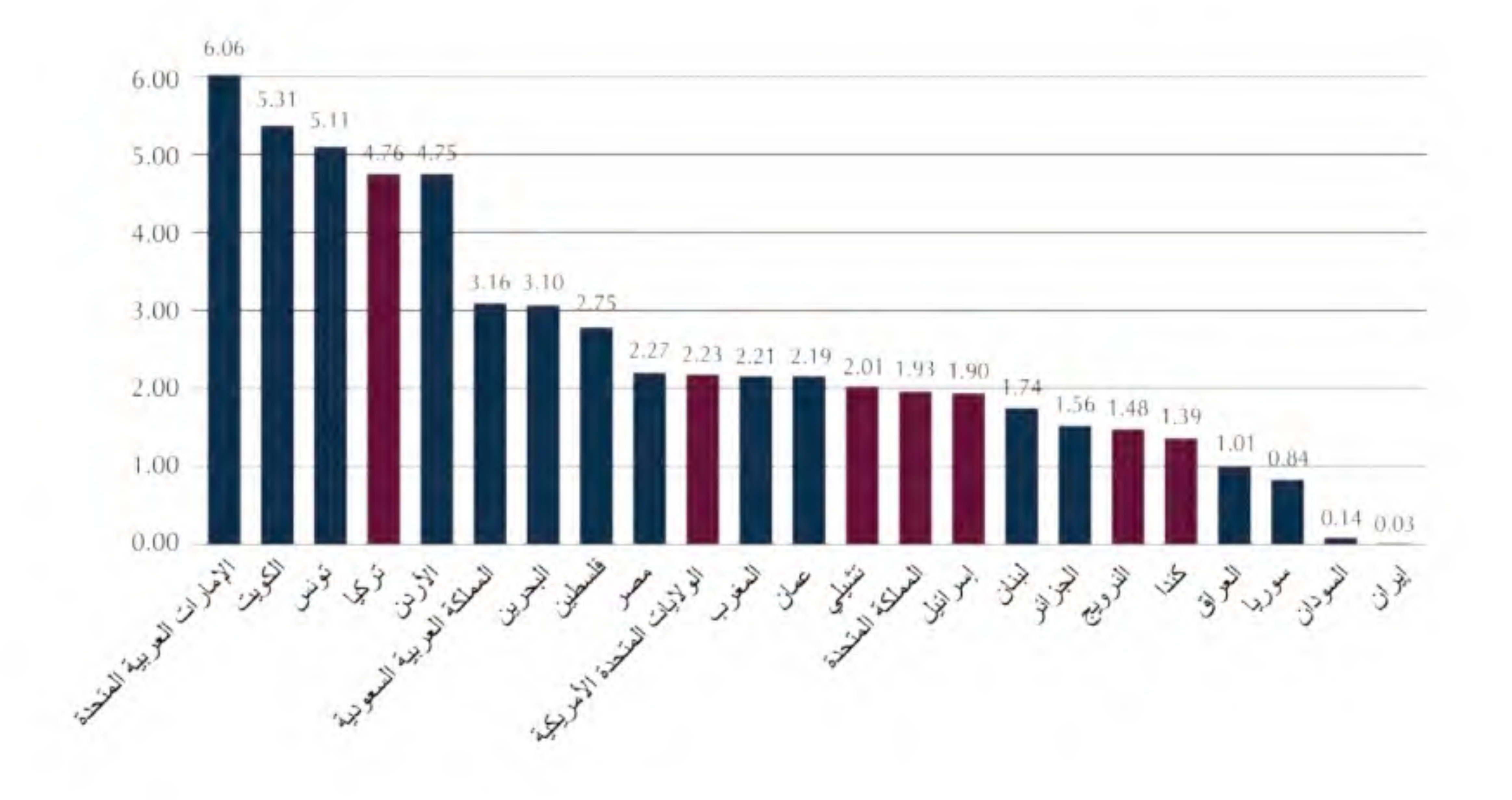
فيس بوك في دول مجلس التعاون الخليجي:



عدد مستخدمي فيس بوك ونسبة المستخدمين في المنطقة العربية ٢٠١١:



مستخدمو فيس بوك الجدد في المنطقة العربية وعالميًا من (٥ يناير، إلى ٥ إبريل ٢٠١١) بالنسبة إلى عدد السكان:



- وموقع تويتر يمثل إحدى منصّات التّواصل الاجتماعي الأخرى، التي كان لها قوّة مؤثّرة على مستويات عدّة خلال الرُّبع الأوَّل من العام.

- وتجاوز عدد مستخدمي تويتر ٢٠٠ مليون في نهاية ٣ مارس للعام ذاته، ليبلغ إجمالي عدد التغريدات التي يرسلها هؤلاء أربعة مليارات تغريدة شهريًّا.

- قُدِّر عدد مستخدمي تويتر النَّشِطين في المنطقة العربية في نهاية مارس ٢٠١١ بـ ١،١٥٠،٢٩٢ مستخدم.

- قُدِّر عدد (التغريدات) التي أنتجها هؤلاء المستخدمون النشطون في العالم العربي في الربع الأول من ٢٠١١ بـ ٢٢،٧٥٠،٠٠٠ رسالة تويت.

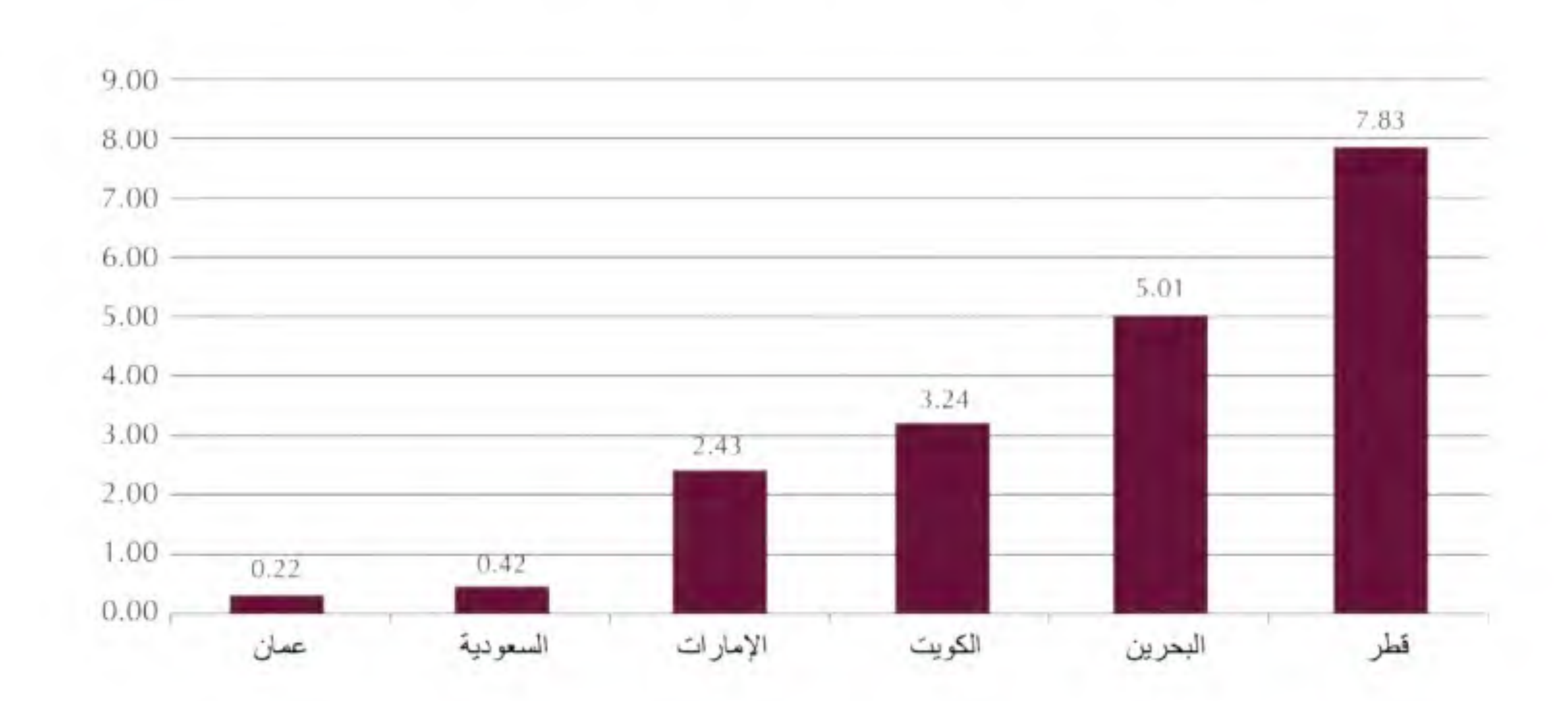
- قُدِّر عدد رسائل التويت يوميًّا بـ ٢٥٢،٠٠٠ يوميًّا، و١٧٥ رسالة تويت كلَّ دقيقة، أو ٣ رسائل تويت تقريبًا كلَّ ثانية.

- قُدر عدد (التغريدات) اليومية لكلِّ مستخدم نشط في المنطقة العربية في الربع الأول من ٢٠١١ بـ ٠,٨١ رسالة تويت يوميًّا.

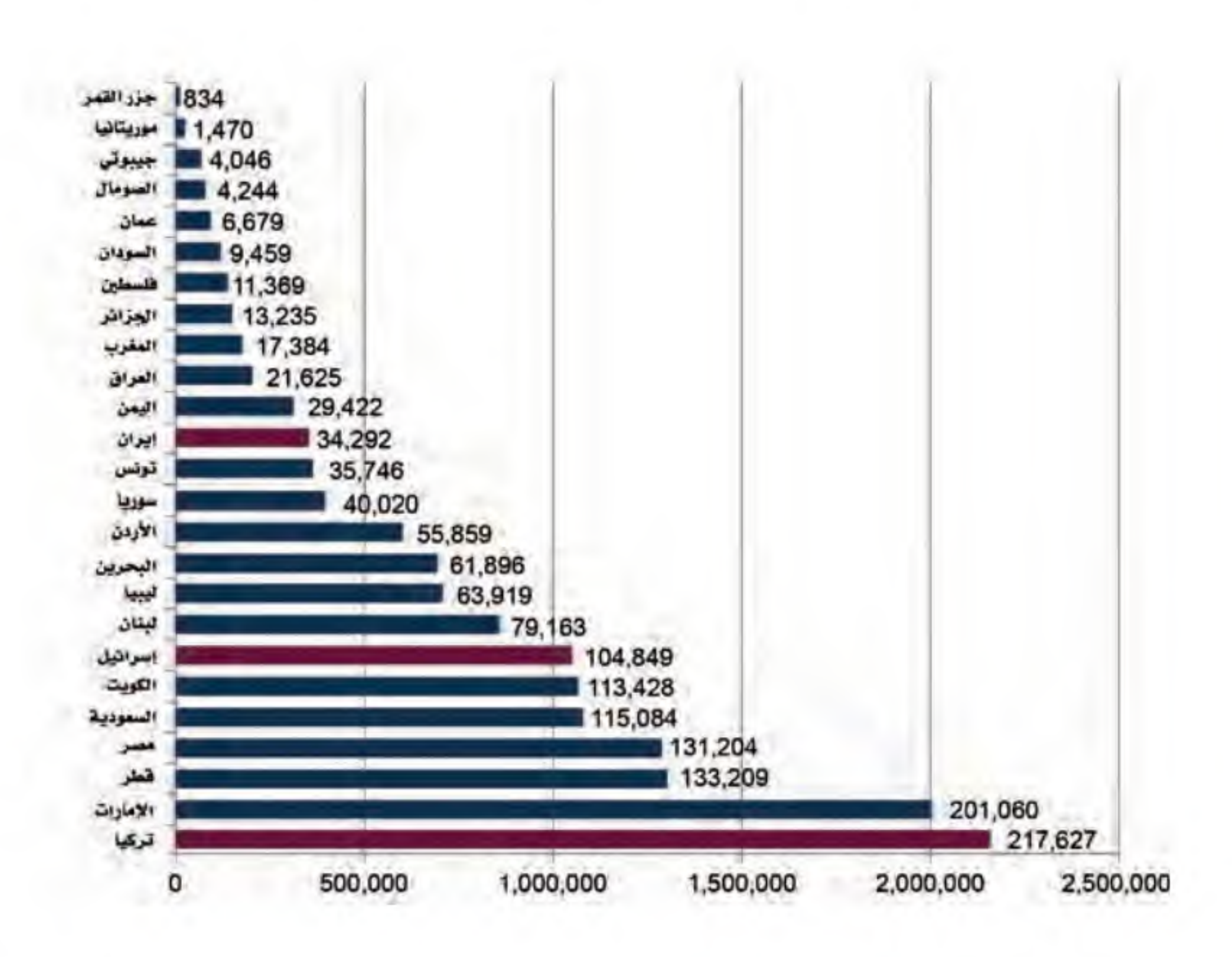
عدد مستخدمي تويتر في دول مجلس التعاون:

30 مارس 2011	عدد السكان	مستخدمو تويتر	انتشار تويتر
عمان	3,103,580	6,680	0.22
المملكة العربية السعودية	27,136,979	115,000	0.42
دولة الإمارات العربية المتحدة	8,260,000	201,000	2.43
الكويت	3,484,881	113,000	3.24
البحرين	1,234,596	61,900	5.01
قطر	1,699,435	133,000	7.83

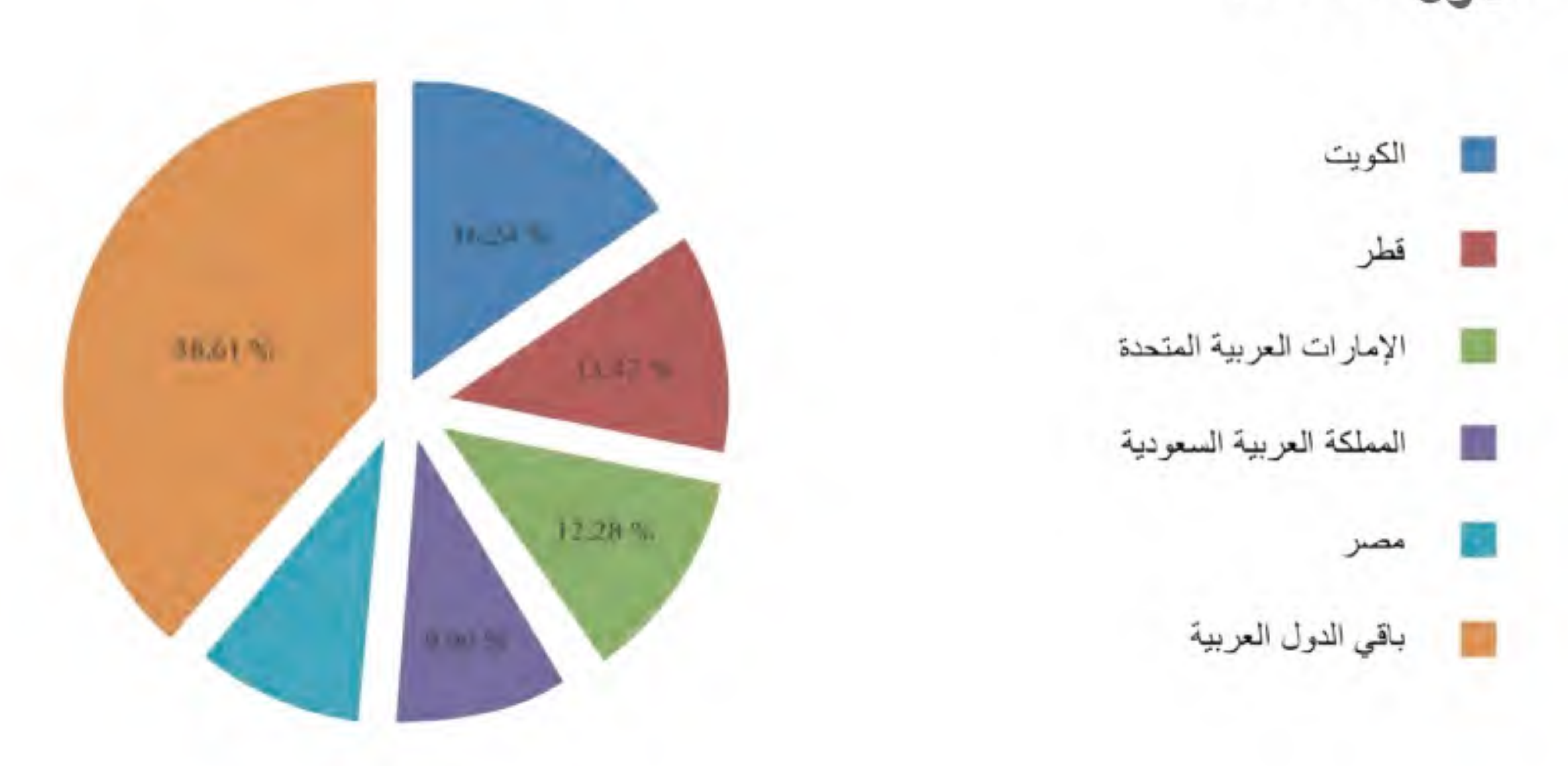
انتشار استخدام التويتر في دول مجلس التعاون ٢٠١١:



عدد مستخدمي تويتر في المنطقة العربية مقارنة ببعض الدول:



نسبة التغريدات التي أنتجتها المنطقة العربية في الربع الأول ٢٠١١ :



- يشير التَّقرير إلى أن نمو وسائل الإعلام الاجتماعي في المنطقة العربية، وكذلك التغير في اتجاهات استخدامها، قد أديا دَورًا مُهمًّا في حشد الجماهير وتمكينها وتشكيل الآراء وتحقيق التَّغيير.

- وتوجد اليوم مجموعة كبيرة من الشباب ومستخدمي وسائل الإعلام الاجتماعي النَّشطين في الوطن العربي. ويقترن ذلك بتحول مستمر في اتجاهات الاستخدام من اتجاهات ذات طبيعة اجتماعية إلى اتجاهات ذات طبيعة سياسية عبر المنطقة.

- وبدت ردود أفعال الحكومات العربية متفاوتة تجاه هذه الظاهرة الجديدة، فلعقود طويلة، ظلت أغلب الحكومات العربية مسيطرة بشكل تام على تدفق المعلومات إلى مجتمعاتها. وبينما حاولت بعض الحكومات مقاومة التَّغيير، وكبت الأشكال الجديدة لتدفق

المعلومات التي ظهرت في مجتمعاتها من خلال حجب الوُصول إلى مواقع الإعلام الاجتماعي، والإنترنت، أو شبكات الهاتف الجوال كليةً، في حين استجابت بعض الحكومات بسرعة، وبدأت في التكيف مع التغييرات.

- حاولت تلك الحكوماتُ سريعةُ الاستجابةِ استغلالَ نموِ استخدام الإعلام الاجتماعي بين أغلبية الشَّباب بوضع خطوط إرشادية وسياسات جديدة.
- لكن ما زال الوقت مبكرًا لوضع تقييم نهائي لدور الإعلام الاجتماعي في انطلاق الحركات الشَّعبية العربية، أو الدَّور الذي ستؤديه في تغيير الأساليب التي تتفاعل بها الحكومات مع مجتمعاتها في المنطقة.
- لكن الأمر المؤكَّد الوحيد، هو: أنه مع وجود النسبة الكبيرة من الشباب في المنطقة العربية وتزايد معدلات استخدام الإنترنت والإعلام الاجتماعي، سيستمر الإعلام الاجتماعي في أداء دورٍ متزايدٍ في التَّطورات السِّياسية والمجتمعية والاقتصادية في المنطقة العربية.



تتطوَّر الفكرةُ من فكرة بسيطة إلى مُرَكَّبة، لتنتهي بتطورات جد مُعَقَّدة، ومن أمرٍ بدائي إلى متطوِّر إلى متقدِّم، ومن نقطة إلى خطٍ منحنٍ، إلى دائرة كاملة. ومن نقصٍ إلى كمالٍ، إلى تكامل. ومن فعلٍ إلى فاعلية، إلى تفاعلٍ. وهكذا هي الأفكار والمشروعات التي ترنو إلى التَّجديد، ويكتب لها العمر المديد.

ماذا بعد تويتر وفيس بوك؟!

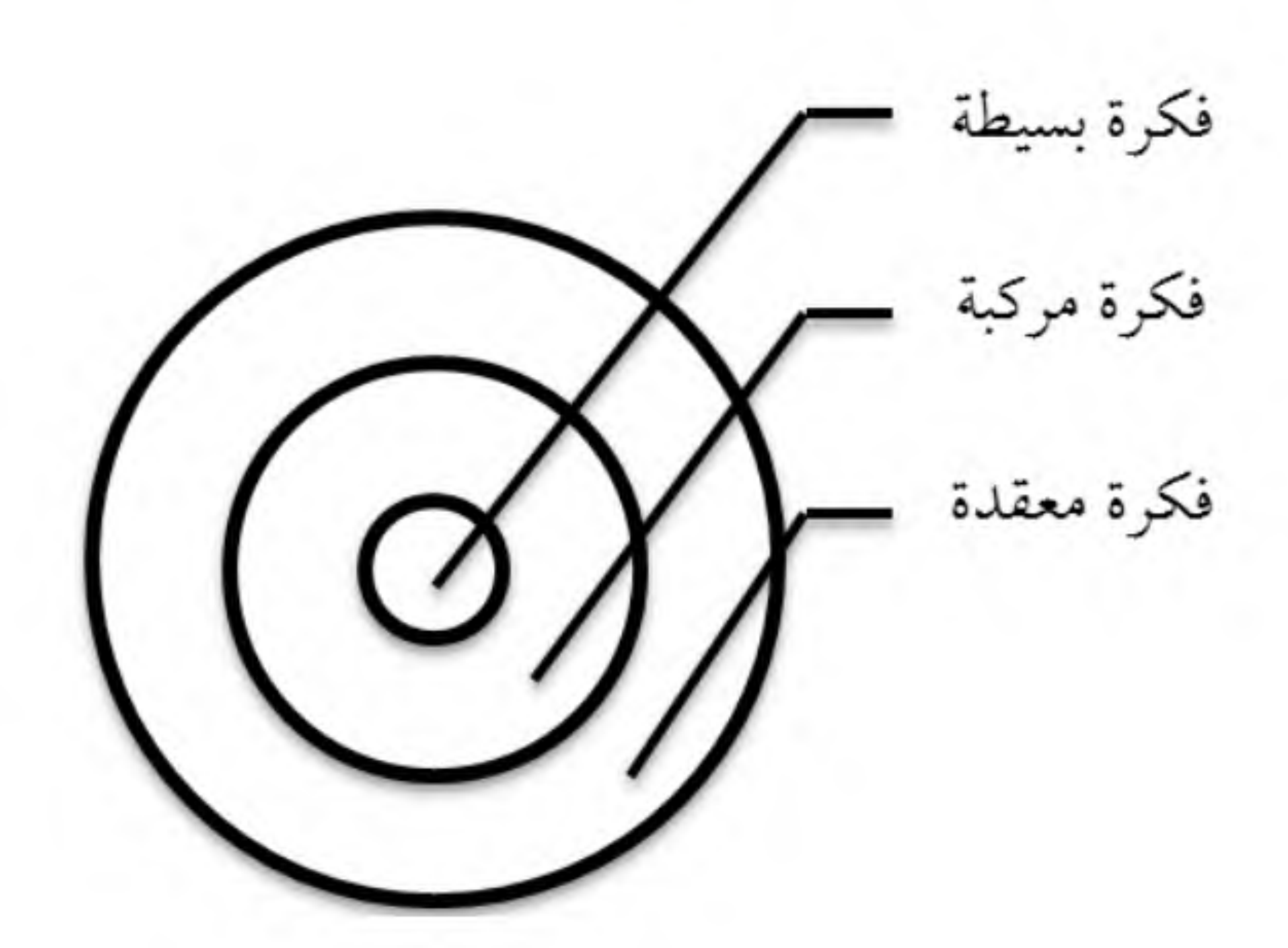
كما لاحظنا أن بداية الإنترنت كان لها دافعٌ رئيسٌ أو حاجةٌ محددة، سواء كانت مبادرةً أم ردةَ فعلٍ أمريكية للجهود الرُّوسية في مجال الفضاء وغيره، أم بسبب التَّخوف من انقطاع الاتِّصال في الكوارث والحروب النَّووية، أم للحاجة إلى تداول المعلومات بشكل أسرع، وعدم مركزية الاستخدام أم غير ذلك. وسواء كانت النَّشأة في بيئة عسكرية أم لا، ولأغراض سِلْمية أم لا، لكنّ المهم أنَّ الفكرةَ بدأت بتهيئة شبكة محدودة لتيسير الاتصال والحصول على المعلومات بشكل مستمر وسريع ودائم، ولدعم وتقوية الذَّات ضدّ الآخر؛ لأنَّ المعلومة قوَّة، والقوَّة معلومة. وبَداهةً كان ذلك لتحقيق مصالح ودرء مفاسد، بل السَّعي لمزيد من مصالح (الذات)، وحصر ضرر (الآخر) في أصغر نقطة ممكنة، وتحقيق السَّبق والتَّميز والسَّيطرة، ومن ثَمَّ التَّحكم!

ثم بعد سلسلة من التطورات القائمة على هذا الأصل، بدأت بنظام لا مركزيٍّ للاتِّصال والتَّوصل للمعلومة، وانتهى بربط العالم كلِّه تقريبًا بشبكة واحدة، وبكم هائلٍ من المعلومات التي تُتداول صباحَ مساء، وبعددٍ ضخمٍ من المستخدمين من كلّ جنسٍ، وكلّ عرقٍ، وكلّ انتماء. بدأ كلُّ هذا من الشَّرارة الأُولى التي قَدحَت في ذهن شخص

واحد أو أشخاص، سواء العالِم بول باران Paul Baran ١٩٦٢م، الذي يعدّه بعض الناس مؤسس بدايات الإنترنت، أو هو وغيره.

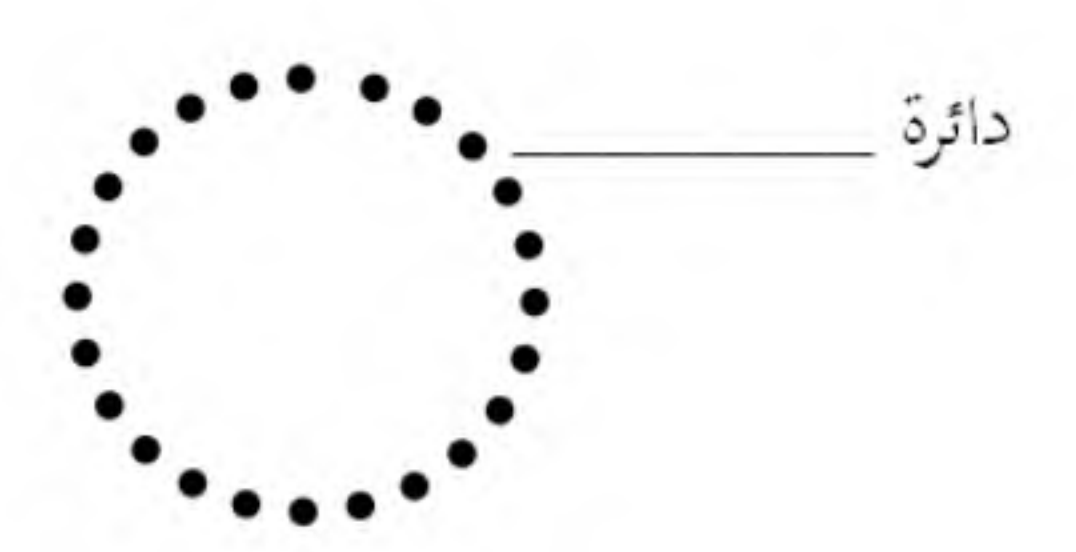


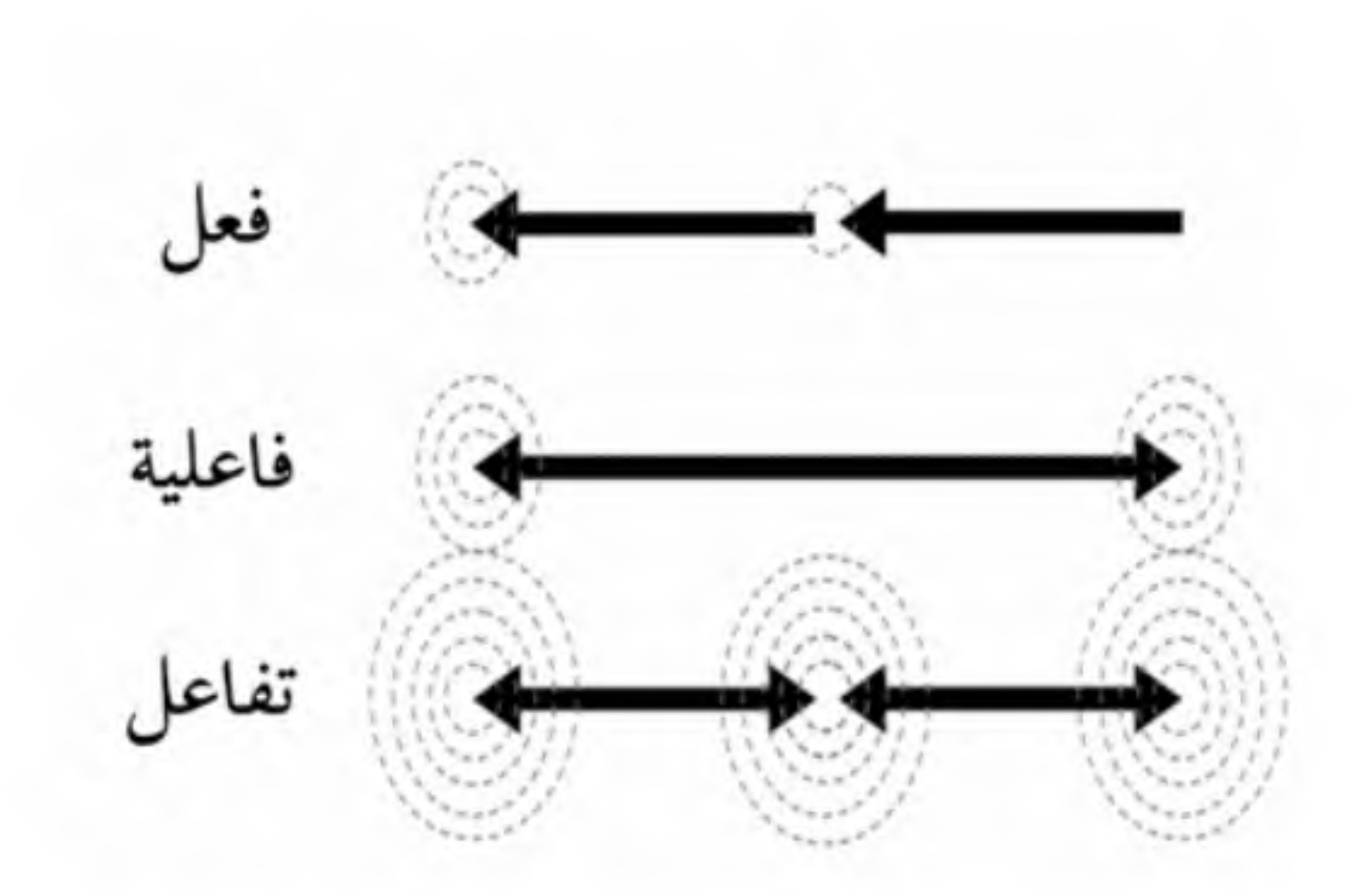
تطوَّرت الفكرة من فكرة بسيطة إلى مركبة، لتنتهي بتطوُّرات جِد مُعَقَّدة، ومن أمرٍ بدائي إلى متطوِّر إلى متقدِّم، ومن نقطة إلى خطٍ منحنٍ، إلى دائرة كاملة. ومن نقصٍ إلى كمالٍ، إلى تكامل. ومن فعلٍ إلى فاعلية، إلى تفاعلٍ. وهكذا هي الأفكار والمشروعات التي ترنو إلى التَّجديد، ويكتب لها العمر المديد.





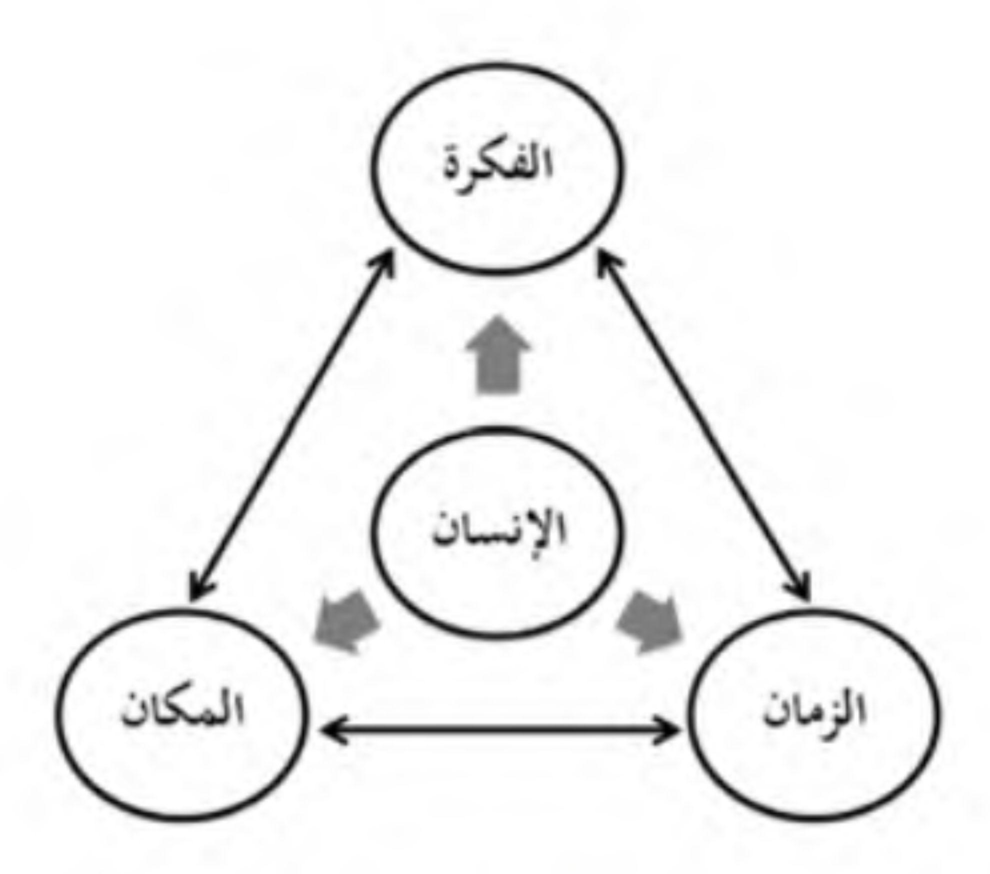






ولو رجعنا، وتأمَّلنا ما قررناه في نظرية (بيئة التَّواصل) فإننا نقرر هنا، ونؤكد أنَّ السَّبق في هذا المجال، أقصد مجال وعوالم التَّقْنية - وغيره - له معادلة تقول:

فكرة نوعية + بيئة متاحة + زمن مناسب = سبق واستحواذ وتحكم وسيطرة.



والذي أعنيه هنا هو مطلق التَّحكم والسَّيطرة، لا التَّحكم والسَّيطرة المطلقة! فالأولى ممكنة والثَّانية مستحيلة.

وبالتأمّل: هذا هو الذي حدث مع كل المشروعات التي سيطرت على عدد ضخم من المستخدمين على مستوى العالم، ومن راعاها مستقبلاً ظفر، ومن أهملها خسر، ويمكن أن نستأنس في صحة هذا كلِّه برمزية النَّصِّ النَّبويِّ على صاحبه أفضل الصلاة وأتمّ التسليم: (مِنَى .. مُناخُ مَنْ سَبَق)، ومنطوقُ النَّصِّ خاصٌّ في مكان خاصّ، لكن مفهوم النَّصِّ له رمزيةٌ ودلالةٌ عامَّة: بحيث تكون هذه قاعدة السَّبق في كل مُناخ!

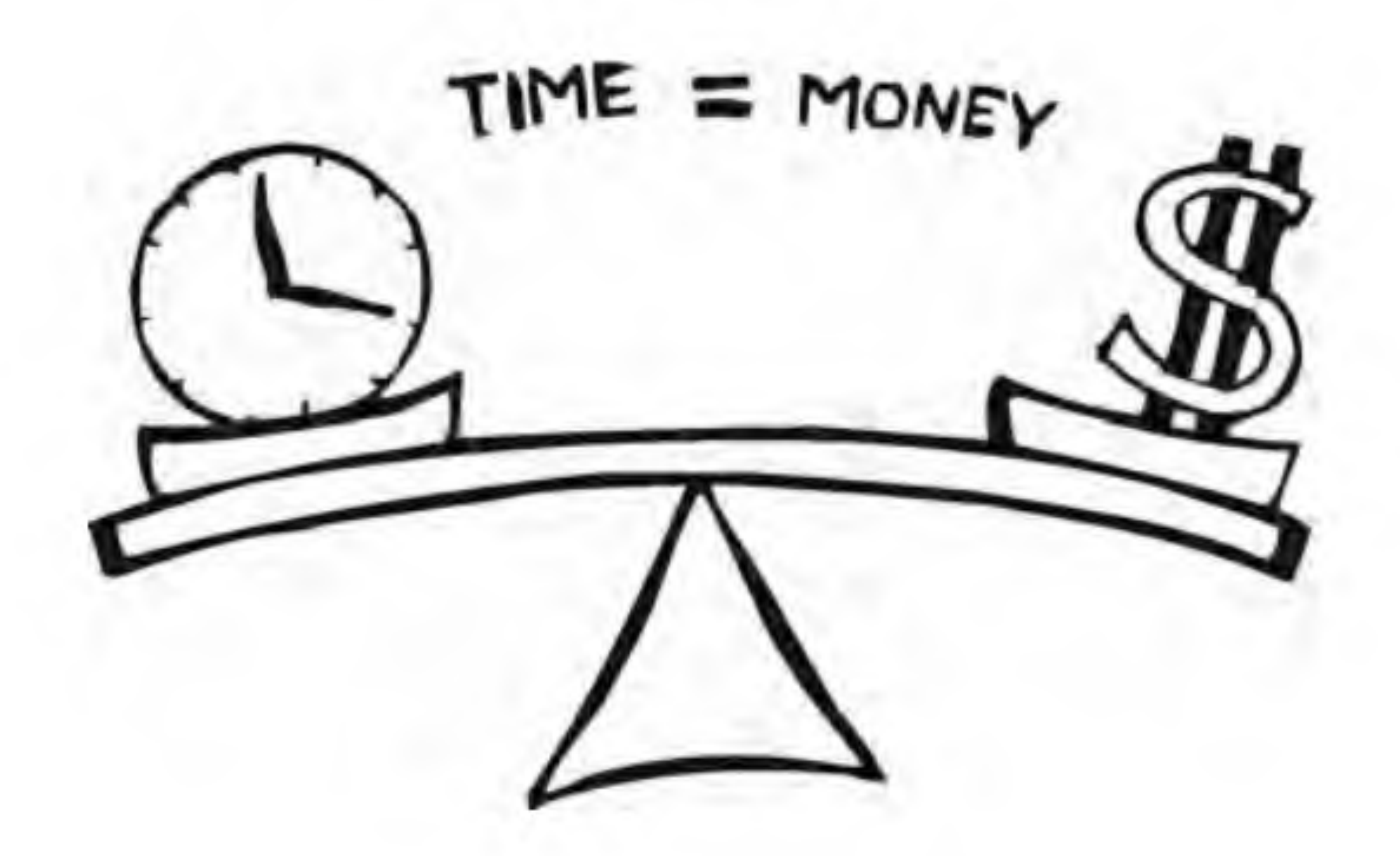


فالعقول البشرية مُناخُ الأفكار، فأيُّ فكرة جديدة نوعية، ضرورية أو حاجية أو كمالية للبشرية، تسبق للعقول فلها السَّبق، بل لها حكمٌ وسُلطةٌ وسَيطرةٌ خفيّةٌ معتبرة لدى هذه العقول، باعتبار أسبقيتها على غيرها من الأفكار المماثلة والمشابهة والمستنسخة.



والفضاء العالمي مُناخُ المشروعات العابرة للقارات، فأيُّ مشروع في عصرنا هذا – الذي ذابت فيه الحدود، وضعفت فيه السلطة المركزية، وأصبح العالم مجتمعًا واحدًا في تواصله – يكون له السَّبق لهذه البيئة العالمية، فسيحظى بالهيمنة والسيطرة، وسيكون جمهوره أعرض بحسب قدرته على توسيع النِّطاق والتَّعبير بلغات العالم.

وإن الحياة الدنيا مُناخٌ لإيقاعات العصر الذي نعيشه!، فأيُّ فكرة أو منتج أو نسق يُكتب له أن يكون نمطًا وإيقاعًا للوقت الحاضر أو للمستقبل، فسيكون له السَّبق على غيره من الأفكار والأحداث والأنساق التي تعيش في الماضي، أو حتى تحبس في اللَّحظة والحاضر، بل إنها ستصبح نَشَازًا يزعجك، ويضرّك سماعه.



واسمحوا لي بأن أشمخ بهِمَّتي، وأَشْتَمَّ الهواء، وأُحدِّق في السَّماء، وأشير إلى العلو، وأجزم أن الله أكرمني بهذه النتائج، بعد تساؤلات وتساؤلات، وبعد تأمُّل طويل استمرّ أشهرًا وسنوات، واعترك في ذهني ونفسي كثيرًا، وها أنا أضعها بين أيديكم؛ لعلَّ الله أن ييسر من يتنبَّه لها من القيادات والمهتمين والمختصين، بل المبدعين، كبارًا كانوا أو صغارًا، ويعي خطورة الموضوع وحيويته وأُفُقَهُ وسَعته، فيبادر ويطامر ويغامر، فيأتي بما لم تأتِ به الأوائل، فيكتب الله لي وله عُمرًا مديدًا، وعَيشًا هنيًّا مَريًّا .. وننعتق جزئيًّا من التَّبعية التي بُليت بها أمُّتنا حقبة ليست بالهَيِّنة على قلوب الأحرار، بل الفُجَّار!

وفي نهاية المطاف:

ليس من السهل التنبؤ بمستقبل تقنيات التَّواصل الاجتماعي، ولكن ستجدون في www.aitnews.com توقعات وقراءات وتأمُّلات يمكن الإفادة منها، لكن بشرط ألاَّ نغرق في شبر ماء!

لا نغرق في التَّخصص، وننسى الأفكار الكلِّية والعظمى! ويكفينا أصحاب التَّخصصات الذين لديهم القُدرة والمهارة على الغوص، وإظهار المكنون من الدُّرَر إلى السَّطح لتنتفع به الأمُة، لا أن يكتفوا بالاستمتاع بالغوص فقط، كحال الأكثرية من الأكاديميين والمتخصصين في شتَّى التَّخصصات!

وسأورد هنا جملةً من التنبؤات التي مرَّت عليَّ، ثم أعقبها بتنبؤاتي، فممَّا قاله المتنبئون عن المرحلة القادمة:

- زيادة التنافس بين (عَمْلقاتي)، بل الصِّراع بين بني العمومة أنفسهم على مَن يربح أكثر.
- المزيد من الاستحواذ على جمهور المستخدمين، بل على السَّمك الأصغر من الشَّركات، وظهور صراع البحر وقانون الغاب للسَّطح، بدل أن يبقى في المياه المغمورة.
- المزيد من القوة (لأقزام عَمْلقاتي)، وأقصد الأجهزة الذَّكية المتنقلة بتطبيقاتها المتجددة والرَّائعة، ما قد يضرُّ بالعمالقة الكبار إن لم يستحوذ على الأقزام أيضًا.
- المزيد من التَّنافسية الرَّأسمالية في سوق أسهم (عَمْلقاتي)، ما يزيد من الرّقعة الضَّبابية لمستقبلها ومستقبل كلِّ العلائق المرتبطة بها.

- لا شيءَ يذكر من بروز عمالقة أو أقزام من الشَّرق العربي بمستوى (عَمْلقاتي) حتَّى الآن!

- المزيد من التَّأكيد على تأثير الصِّراع أو الحَراك العالمي في ميادين المعرفة والقيم والهوية والمكتسبات القومية.

أمَّا عن تنبؤاتي الخاصّة لما (بعد تويتر وفيس بوك؟!) سواء كنتُ أوّل من ينبه إليها، أو آخر من يدري عنها، فهي كالآتي:

- ستبقى التَّنافسية الكبرى والعظمى في عالم الأفكار، والمعرفة تبعًا لها، والتقنية والإعلام والاقتصاد أدوات لهما.

- سيظلّ الإنسان هو المخلوق الأذكى، وهو الوحيد الذي ينتج الأفكار، ويطورها، ويبلورها، ويحولها إلى منتجات وأدوات وتقنيات ومشروعات، ثم يستهلك ذلك كلّه بشكل حيوي ومستمر، ويبحث من جديد عن أفكار جديدة، وهكذا يعيش، ويستمتع بحياته، وبما سخره الله له، ولا يثبت على حال، ولا يقر له قرار، ولا يرضى بالقليل، ولن يروي نهمه وعطشه في الدُّنيا أبدًا.. وهكذا أراده الله.

- سيبقى طغيان وتحيز هوية وأجندة (عَمْلقاتي) حتى تعتدل الكفة على الأقل من الآخر المقابل لها، من أقزام الغرب، أو (عَمْلقات) الشَّرق الأقصى أو الأدنى إن قَدَّر الله.

- لن تظفر (عَمْلقاتي) ولا واحدة منها بكل ما تريد، ولن تكون الإقطاعي الوحيد، ولن تستطيع الاستحواذ على المزيد! وكما قلنا ستظفر بمطلق الاستحواذ، لا على الاستحواذ المطلق، وفرق كبير بينهما، فوهم السيطرة على العالم، واستعباد الآخر أو استبعاده، ومحو القوميات والعرقيات والديانات والهويات والثقافات الأخرى المسالمة أو المعادية كلها أو شيء منها، كل هذا الوهم تبعثره سنة الرّب تعالى (سنة المدافعة).

- سيبقى العالم كلُّه بين فكر ونتاج الرأسمالية المعلوماتي والرقمي وسياسة الاحتكار والتشفير، وبين فكر ونتاج الشيوعية بوصفها مفهومًا عامًّا من شيوع المعرفة والتقنية والكود المفتوح، وسيبقى الجدل والمفاضلة بينهما ما بقيت هذه الحدية والطرفية، وكأن عوالم التقنية تنتظر حلولاً ورؤيةً وسطيةً بين المستثمرين والمستهلكين والمجتمع ، ولن تكون هذه الرؤية أرضية هذه المرة - وفي كل مرة - بل من هداية سماوية.

وهذه جملة من أصول الأفكار الاستثمارية في ذات المجال، أطرحها بين أيديكم لشحذ الهمم، وشحن (بطاريات) العقول، وأنا متيقنٌ أن لديكم الكثير، وخاصة الشباب الذين هم مادة العصر وروحه، وحتى لا تكون المسألة مجرد عصفٍ ذهني - كما يقال - حللت الأفكار، وصنفتها كالآتي:

الصنف	الأفكار التنافسية	التحليل
ما بعد شبكات التواصل الحالية	الاتجاه لإنشاء شبكات متخصصة أكثر فاعلية بمعنى أنها ليست لمجرد التواصل، بل لتحقيق أهداف ومتطلبات أكثر وضوحًا وإلحاحًا: - شبكات علمية. - شبكات أكاديمية. - شبكات مهنية. - شبكات خاصة. - شبكات بزنس. - شبكات حكومية. - وربما شبكات فدرالية. وقد تتجه (عملقاتي) أو شركات أخرى لبرمجة قالب مستقل غير مرتبط بالمصدر إلاَّ في جانب الدّعم الفني، يتيح للمستخدم فردًا أو تجمعًا أو منظمة مزيدًا من التحكم ومزيدًا من الخصوصية.	قطعًا لن تخرج الأفكار عن قضية التَّواصل؛ لأنها هي الأساس، كما هي نتيجة هذا الكتاب، لكن سترقى الشَّبكات ولا شك لمزيد من الفاعلية التي يريدها المستخدم أو جمهور المستخدمين. وقد تتجه الأفكار لمزيد من التوسع والانفتاح، وقد يحدث العكس، فيكون التوسع نحو مزيد من الانغلاق أو الخصوصية الذاتية أو التخصصية.

شبكات التواصل الحالية	• تطوير خدمات الشبكات الكبرى الحالية: كمعرض الصور والفيديو وخدمات التسويق والمراسلة. • تطوير واجهة الموقع أو التطبيق بما يرفع معيار قابلية الاستخدام، ويحقق مزيدًا من المرونة. • تطوير تطبيقات الأجهزة الذكية، بما يناسب ذائقة الشّرائح العمرية. • تطوير برمجة أجهزة الحاسوب بما يتناسب مع تنوع الشّبكات الاجتماعية.	نحو مزيد من التيسير على المستخدم وإشباع نهمه وذائقته.
مجالات أخرى مرتبطة	• تطوير برامج الإنتاج المرئي والمسموع بما يحقق للمستخدم البسيط مزيدًا من التفاعلية والقدرة الذاتية على تكييف شكل المنتج النهائي. • تطوير برامج تصميم خاصة بالصور التي ترفع على الشبكات، بحيث تكون في متناول الجمهور العريض.	نحو مزيد من إشتراك المستخدم البسيط والجماهير في صناعة المنتج.

وبنـاءً على كل ما سبق، أجمل توصياتي في النقاط، والمحاور الآتية:

١- (الأفكار) لا بدَّ من العناية بها في بيئتنا المحلية والعربية، ويبدو أن هذا الأمر لو أنيط بالمؤسسات الحكومية لأصبح برستيجًا ممقوتًا، ولو تُرِك للقطاع الخاص لأصبح استثمارًا وقوتًا. ولكن أتوقع أنه لو نبع من المجتمع نفسه ومن المبادرات الاجتماعية والمؤسسات والقيادات الممثلة للمجتمع تمثيلاً حقيقيًّا لتنفس الصَّعداء، ولآتى أُكُلَه، ولَتَخَلّقَ خَلْقًا آخرَ.

٢- (المعلومة) لا تزال المعلومة هي مفتاح صندوقك وصناديق القوم، وليس فقط الحصول على المعلومة، بل اختبارها، وتوظيفها، واستثمارها، وهذا من مقومات التَّنافسية العالمية في أي مجال.

٣- (التواصل) سنةٌ من سنن الله الفطرية والكونية، وفقه هذه السُّنة، ومعرفة أبعادها، وتاريخها، ومستقبلها، وأدواتها في كل عصر أساس في هذه التنافسية.

٤- (الإنسان)، هو أهمّ شيء في الأرض، بل هو كنز الأرض، ومحط رسالات السماء، وفقه (الإنسان)، ومعرفته بخلقته وفطرته وميوله والقوانين التي تحكمه، هو معادلة الاستثمار العادل في كل مجال، لكن حتى تكون النتائج سليمة لا بد من أخذ

المعادلة والمعطيات ممن صنعها، وإلا فإن اللَّعب بالمعطيات كفيل بالفشل والخلل والزلل، فما بالكم لو لعبنا بالمعادلة والقانون نفسه؟!

٥- (الزمكان)، أعلم أن هذا مصطلح مرتبط بنسبية آينشتاين، ولكن الذي أعنيه هنا: أن فلسفة الزَّمان والمكان وما فيهما من أبعاد، وما يسيطر عليهما من سنن وأنظمة كونية مهمة للتنبؤ بالأحداث المحتملة والمتوقعة مستقبلاً، وإنّ أيّ قراءة للمستقبل لا تنطلق من فلسفة أو رؤية كلية أو أفكار عُليا لما ستكون عليه البشرية والحياة والأرض، فلن تستطيع تقديم شيء، ولن تصنع شيئًا، وبالتأمل: فهذا النتاج الذي نعيشه وهذه العوالم والأفلاك المادية والتقنية - التي سيطرت على حياتنا وصبغتنا صبغة خاصّة - مبطنة بفهم متحيز للذات وللآخر، بل للكون والحياة والإنسان وللخالق سبحانه وقدرته وفعله؛ لذا يجب علينا أن نستلهم رشدنا، ونرجع للكتاب الهادي وسنة النّبيّ الخاتم، وتاريخ الأنبياء والبشرية والحضارات الراشدة، ونقرأها قراءة جديدة واعية؛ إذ إن كل عصر في حاجة إلى ذلك، لا لنجتر صراعات الماضي، ولا لنفقه نوازل وقدر الأقدمين، ولا لنغرق في إصدار الأحكام على الأفكار والأشخاص والأشياء المعاصرة باجتهاد من لم يعاصرها! بل لنترجم هداية السَّماء في عوالم عصرنا، ولننطلق من الموروث البشري الصافي، ومن النتاج الحضاري النافع، لنحيا سعداء، ولنستبين سبيل المجرمين، ولنكون رحمة للعالمين.

نحتاج إلى هذا للتنبؤ بمستقبلنا.. ومستقبل شبكات التَّواصل الاجتماعي..

نحتاج إليه للتنبؤ بقضية التَّواصل بين البشرية، وما ستؤول إليه..

نحتاج إليه لنتوقع مستقبل الحياة الافتراضية..

نحتاج إليه لنعلم الثَّابت والمتغير، والخير والشَّرَّ، والنَّافع والضَّار، وحتى لا تلغي المادة عقولنا، ولا تأسرنا أموالنا وممتلكاتنا، وما نقتنيه من منتجات..

نحتاج إلى ذلك كلِّه ليبقى الإنسان أشرفَ مخلوق كما خلقه الله.. يعيش حُرًّا كريمًا سماويًّا، وإن عاش عاملَ نظافة في مستودع أرضي!!



سواءً كنا في الناصية أم الذيل، فإنه لا بد أن نعي أن ميدان التنافسية الأوجب علينا هو ميدان القيم والمبادئ إذ إنها ببساطة سبب حضورنا والقيمة المضافة لنا بين الأمم!

Game Over +The End

كلُّ القصص التي قرأناها كانت نهايتها (تمّت)، وكلُّ الأفلام التي شاهدنا ختمت بـ (The End)، وكلُّ الألعاب التي لعبناها وصلت لـ (Game Over)، وهكذا كلُّ جديد يَبلى، وكلُّ حلوٍ ينتهي، وكلُّ حيٍّ يَفنى، ولا يبقى إلاَّ وجهُ من خلق الآخرةَ والأولى.

وحقيقةً أحبُّ أن أسجِّل في نهاية تأمُّلاتي وتساؤلاتي هذه بعض الخواطر التَّقْنية:

- فَرِح الأقدمون بالزَّرع والضَّرْع، وتنافسوا فيهما، وظهرت الثَّورة الزِّراعية أو (الخضراء)، وتنافسوا فيها، وظهر العصر الذَّهبي العلميُّ العربيُّ والإسلاميُّ، وتنافسوا فيه، وظهرت الثَّورة الصِّناعية الغربية بعد ذلك ونتيجة لما سبق، وفرح النَّاسُ بالسَّيارة والطَّيارة، وتنافسوا فيها، ثم ظهرت الثَّورة الإعلامية، ففرح النَّاس بالتِّلفاز والستلايت، وتنافسوا فيها، ثم ظهرت الثَّورة التَّقْنية ففرح النَّاس بالحاسوب والإنترنت، وتنافسوا فيها، ثم في عصر المعلوماتية ظهرت الشَّبكات والتَّطبيقات، وها نحن نتنافس فيها، وهكذا هي الحياة (دُوَل) بين الناس، وحتَّى يحين

موعد النِّهاية الكبرى وتضع الحربُ أوزارها، وتقوم (السَّاعة) سيبقى التنافس، وستبقى ميادين التنافسية.

- في مجملِ ما سبق من عصورٍ، كان حضورُ العرب والمسلمين قويًّا، ثم ضعف إلى حدِّ التَّبعية. ولعلَّ السُّنَّة الرَّبانيّة الكونيّة في علو الأمم ودنوها هو المؤثِّر الأكبر في هذا كلِّه، ومسألة الحضور والتَّقدم الماديّ على الأمم على أهميتها لا تتعدى الأمر الرَّباني الكونيّ، لكن المهم أو الأهم من ذلك، هو الحضور والتَّقدم في مسألة القيم والأخلاق المرتبطة بالأمر الشرعي، بمعنى:

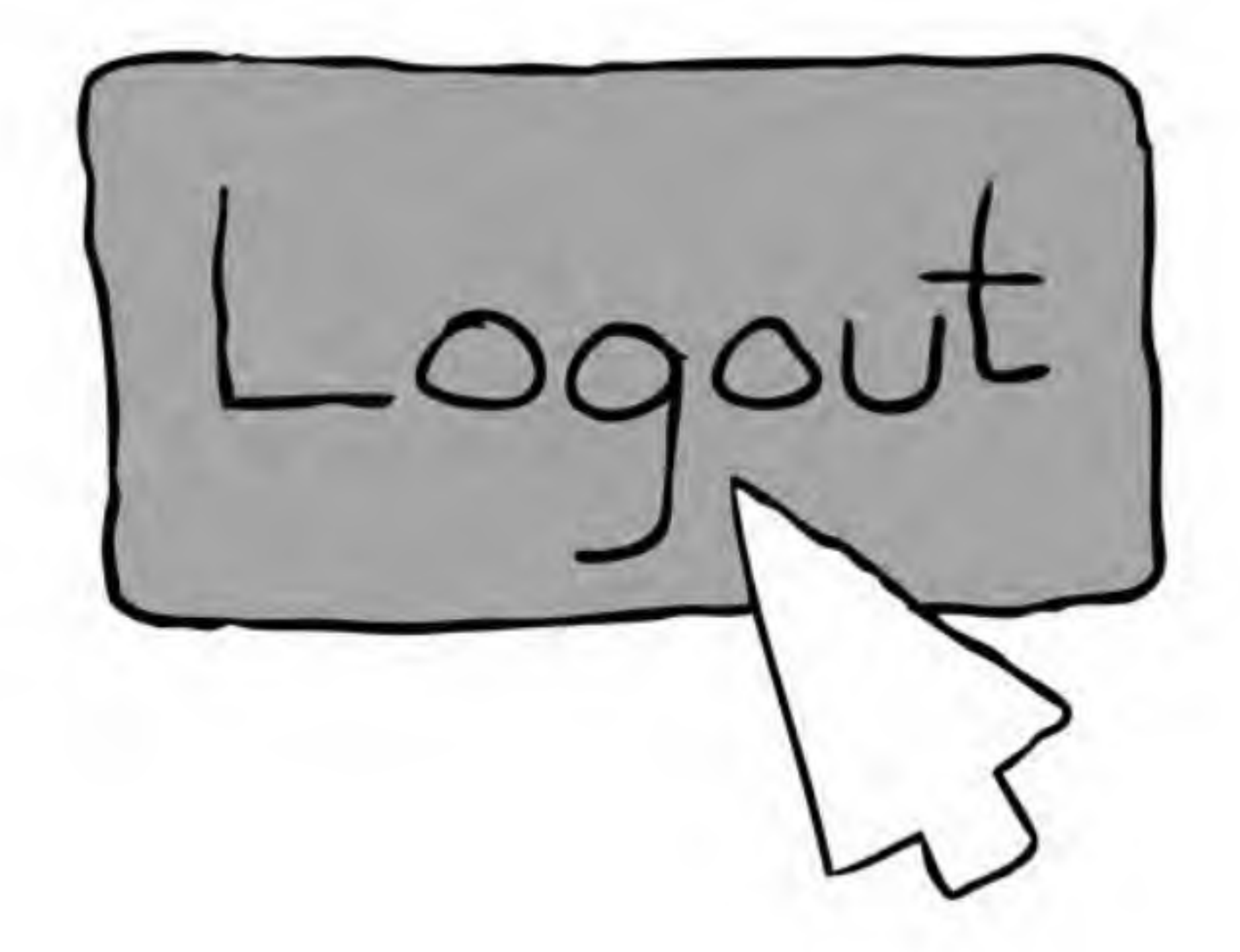
أنَّنا قد تتهيَّأ لنا الأسبابُ، ويلطف بنا قَدَرُ الله، فنكون في النَّاصية في الحضور المادي، وقد نُقصِّر في الأسباب، ويعاقبنا قَدَرُ الله، فنكون في ذيل الحضور الماديّ، هذا كلُّه مقبولٌ؛ لأنها ببساطة: خاضعة لسُنَّة كونية ربانية متعلقة بالأمم.

لكن.. سواءً كنّا في النَّاصية أم الذَّيل، فإنه بالنسبة إلينا أمَّةَ العربِ والإسلامِ يجب ألاَّ نتخلى عن قيمنا ومبادئنا؛ إذ إنها ببساطة: هي سبب حضورنا بين الأمم!

لذا، لا بدَّ أن نُفَرِّقَ بين المَدنية والحضارة، وبين المادية والقيم. فقد تكون الأمَّة مَدنيةً مادية، لكنها بلا حضارة ولا قيم، وقد تكون الأمَّة حضارية، وإن تعثرت في مَدنيتها، وعجزت في مادتها، مع يقيننا بأن المطلوب الشَّرعيَّ هو أن نجمعَ بين الحُسنيين، ولا نرضى بالدُّون.

- والنَّتيجةُ التي أودُّ أن أخْلُصَ إليها فيما يتعلَّق بموضوعنا هذا: أنّ للشَّبكات الاجتماعية وللتَّطبيقات الذَّكية وجهًا آخرَ أسودَ كالحًا، سواءٌ كان على مستوى انتهاك الخصوصيات أو المتاجرة بالبيانات أو التسويق للمحرمات، أو امتهان الإنسان والأديان؛ لذا، فالحذرَ الحذرَ عند خوض الغمار والتنافس التقني أن نتلبس بهذه اللبوس، بل لنأخذ من الدُّنيا ما صفا، ولنترك ما كدر، فالمسألة في نهاية المطاف عملٌ صالحٌ وآخرُ سيئ، وإمَّا جنّة وإمّا نار.

- والنتيجة الأخرى: لا نكن ممَّن تسلبه الحسناءُ إلى حدِّ الشَّغف، ويشرب إلى حدِّ التَّلف، وممَّن ينساق وراءَ المادة والمظهر، فإنَّ القصةَ ستُختم، والفيلمَ سينتهي.



لا نُستهلك في التَّفاصيل، ولا نضيع بين الجمهور، ولا (نغرق في شبر ماء)، ولننظر إلى العوالم نظرةً كُليَّة قبل الجزئية، وعامّة قبل الخاصّة؛ لمزيد من الوعي بالعوالم التي تُشكِّل حياتنا، وما يتبعها من منتجات وتقنيات ومشروعات.

تسجيل الخروج

من توصيات التَّقْنيين أن تحرص على تسجيل الخروج عند تصفُّحِكَ للإيميل، أو لأيِّ موقع أو تطبيق يستلزم طلبَ بياناتك الخاصَّة. وأمَّا بالنسبة إلي؛ فأتمنى ممَّن دخل في جوِّ الكتاب، واقتنع بمادته، وشاركني التَّفكير، وتساءل وتأمَّل في هذا الموضوع، وبَدَتْ له بعضُ الأفكار والرُّؤى، وربما النَّقد والتَّوجيه، ألاَّ يسجل الخروجَ، وأن يبقى على اتِّصال!

نعم، أتمنَّى أن يبقى على اتِّصال ليس بي، وإنَّما بعقله وتفكيره، وبالمستويات العُليا من التَّفكير؛ لأنّ في هذا من النفع له ولأبنائه ولوطنه ولأمَّته ما لا يحصيه إلاَّ الله.

وحقيقةً كم تَجَرَّعْنا من مشكلات التَّبعية والتَّقليد والجُمود في حقبة من الحقب، وكم نقمنا حالنا، وجَلَدنا ذوَاتنا في حقب أخرى، فحريٌّ بنا الآن أن نمارس التَّفكير والتَّعقل والتَّأمُّل والتَّدبرَ؛ لنحقق مزيدًا من (الوعي)، وهذا ما اجتهدتُ في إيصاله للقارئ الكريم، ولو رجعتَ إلى غُرَّة الكتاب لوجدتَ عبارة (الوعي بالأفكار)، وهذا مجالٌ من مجالات (الوعي) التي نحتاج إلى أن نطرقها، ونتدرب عليها، ونربي أنفسنا

والآخرين عليها، فلا نُسْتَهلك في التَّفاصيل، ولا نضيع بين الجمهور، و لا (نغرق في شبر ماء)، ولننظر إلى الأشياءِ نظرةً كُليِّة قبل الجزئية، وعامَّة قبل الخاصَّة، وشاملةً قبل الحصرية!

ولكن.. هنا أسجِّل خروجي من تدوين هذه الكلمات، ومن تحرير هذه العبارات، التي أسأل الله تعالى بمَنِّه وكَرمه أن ينفعني وإيَّاكم بها، وأن يتقبلها ربِّي بقَبولٍ حسنٍ، وأن يُنْبِتَها نباتًا حَسَنًا، فأقول: شكرًا لكَ أيها القارئ الكريم، وما وجدتَ من خيرٍ فاقْبَلْهُ، وما وجدتَ من خللٍ أو زَلَل فعَالِجْهُ.

والحمدُ لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على أشرف الأنبياء وسيِّد المرسلين.

خالد بن محمد العماري

مكة المكرمة (حرسها الله)

اتصل بنا :


Ammari.kh@gmail.com


@ammarikh


facebook.com/ammari.kh


خالد العماري – بيانات التواصل


تقرير الإعلام الاجتماعي عن كلية دبي